الْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالسَّادِسُ

1 هَلِّلُويَا! احْمَدُوا الرَّبَّ لأَنَّهُ صَالِحٌ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. 2مَنْ يَتَكَلَّمُ بِجَبَرُوتِ الرَّبِّ؟ مَنْ يُخْبِرُ بِكُلِّ تَسَابِيحِهِ؟ 3طُوبَى لِلْحَافِظِينَ الْحَقَّ، وَلِلصَّانِعِ الْبِرَّ فِي كُلِّ حِينٍ. 4اذْكُرْنِي يَا رَبُّ بِرِضَا شَعْبِكَ. تَعَهَّدْنِي بِخَلاَصِكَ، 5لأَرَى خَيْرَ مُخْتَارِيكَ. لأَفْرَحَ بِفَرَحِ أُمَّتِكَ. لأَفْتَخِرَ مَعَ مِيرَاثِكَ.

6أَخْطَأْنَا مَعَ آبَائِنَا. أَسَأْنَا وَأَذْنَبْنَا. 7آبَاؤُنَا فِي مِصْرَ لَمْ يَفْهَمُوا عَجَائِبَكَ. لَمْ يَذْكُرُوا كَثْرَةَ مَرَاحِمِكَ، فَتَمَرَّدُوا عِنْدَ الْبَحْرِ، عِنْدَ بَحْرِ سُوفٍ، 8فَخَلَّصَهُمْ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ، لِيُعَرِّفَ بِجَبَرُوتِهِ. 9وَانْتَهَرَ بَحْرَ سُوفٍ فَيَبِسَ، وَسَيَّرَهُمْ فِي اللُّجَجِ كَالْبَرِّيَّةِ، 10وَخَلَّصَهُمْ مِنْ يَدِ الْمُبْغِضِ، وَفَدَاهُمْ مِنْ يَدِ الْعَدُوِّ، 11وَغَطَّتِ الْمِيَاهُ مُضَايِقِيهِمْ. وَاحِدٌ مِنْهُمْ لَمْ يَبْقَ. 12فَآمَنُوا بِكَلاَمِهِ، غَنُّوا بِتَسْبِيحِهِ. 13أَسْرَعُوا فَنَسُوا أَعْمَالَهُ. لَمْ يَنْتَظِرُوا مَشُورَتَهُ. 14بَلِ اشْتَهُوا شَهْوَةً فِي الْبَرِّيَّةِ، وَجَرَّبُوا اللهَ فِي الْقَفْرِ، 15فَأَعْطَاهُمْ سُؤْلَهُمْ وَأَرْسَلَ هُزَالاً فِي أَنْفُسِهِمْ. 16وَحَسَدُوا مُوسَى فِي الْمَحَلَّةِ وَهَارُونَ قُدُّوسَ الرَّبِّ. 17فَتَحَتِ الأَرْضُ وَابْتَلَعَتْ دَاثَانَ، وَطَبَقَتْ عَلَى جَمَاعَةِ أَبِيرَامَ، 18وَاشْتَعَلَتْ نَارٌ فِي جَمَاعَتِهِمْ. اللهِيبُ أَحْرَقَ الأَشْرَارَ.

19صَنَعُوا عِجْلاً فِي حُورِيبَ، وَسَجَدُوا لِتِمْثَالٍ مَسْبُوكٍ، 20وَأَبْدَلُوا مَجْدَهُمْ بِمِثَالِ ثَوْرٍ آكِلِ عُشْبٍ. 21نَسُوا اللهَ مُخَلِّصَهُمُ، الصَّانِعَ عَظَائِمَ فِي مِصْرَ، 22وَعَجَائِبَ فِي أَرْضِ حَامٍ، وَمَخَاوِفَ عَلَى بَحْرِ سُوفٍ، 23فَقَالَ بِإِهْلاَكِهِمْ، لَوْلاَ مُوسَى مُخْتَارُهُ وَقَفَ فِي الثَّغْرِ قُدَّامَهُ لِيَصْرِفَ غَضَبَهُ عَنْ إِتْلاَفِهِمْ. 24وَرَذَلُوا الأَرْضَ الشَّهِيَّةَ. لَمْ يُؤْمِنُوا بِكَلِمَتِهِ، 25بَلْ تَمَرْمَرُوا فِي خِيَامِهِمْ. لَمْ يَسْمَعُوا لِصَوْتِ الرَّبِّ، 26فَرَفَعَ يَدَهُ عَلَيْهِمْ لِيُسْقِطَهُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ، 27وَلِيُسْقِطَ نَسْلَهُمْ بَيْنَ الأُمَمِ، وَلِيُبَدِّدَهُمْ فِي الأَرَاضِي. 28وَتَعَلَّقُوا بِبَعْلِ فَغُورَ، وَأَكَلُوا ذَبَائِحَ الْمَوْتَى، 29وَأَغَاظُوهُ بِأَعْمَالِهِمْ، فَاقْتَحَمَهُمُ الْوَبَأُ. 30فَوَقَفَ فِينْحَاسُ وَدَانَ، فَامْتَنَعَ الْوَبَأُ. 31فَحُسِبَ لَهُ ذَلِكَ بِرّاً إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ إِلَى الأَبَدِ.

32وَأَسْخَطُوهُ عَلَى مَاءِ مَرِيبَةَ، حَتَّى تَأَذَّى مُوسَى بِسَبَبِهِمْ، 33لأَنَّهُمْ أَمَرُّوا رُوحَهُ حَتَّى فَرَطَ بِشَفَتَيْهِ. 34لَمْ يَسْتَأْصِلُوا الأُمَمَ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ الرَّبُّ عَنْهُمْ، 35بَلِ اخْتَلَطُوا بِالأُمَمِ، وَتَعَلَّمُوا أَعْمَالَهُمْ، 36وَعَبَدُوا أَصْنَامَهُمْ، فَصَارَتْ لَهُمْ شَرَكاً، 37وَذَبَحُوا بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ لِلأَوْثَانِ، 38وَأَهْرَقُوا دَماً زَكِيّاً، دَمَ بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمِ الَّذِينَ ذَبَحُوهُمْ لأَصْنَامِ كَنْعَانَ، وَتَدَنَّسَتِ الأَرْضُ بِالدِّمَاءِ، 39وَتَنَجَّسُوا بِأَعْمَالِهِمْ وَزَنُوا بِأَفْعَالِهِمْ، 40فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى شَعْبِهِ وَكَرِهَ مِيرَاثَهُ، 41وَأَسْلَمَهُمْ لِيَدِ الأُمَمِ، وَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ مُبْغِضُوهُمْ، 42وَضَغَطَهُمْ أَعْدَاؤُهُمْ فَذَلُّوا تَحْتَ يَدِهِمْ. 43مَرَّاتٍ كَثِيرَةً أَنْقَذَهُمْ. أَمَّا هُمْ فَعَصَوْهُ بِمَشُورَتِهِمْ وَانْحَطُّوا بِإِثْمِهِمْ، 44فَنَظَرَ إِلَى ضِيقِهِمْ إِذْ سَمِعَ صُرَاخَهُمْ، 45وَذَكَرَ لَهُمْ عَهْدَهُ، وَنَدِمَ حَسَبَ كَثْرَةِ رَحْمَتِهِ. 46وَأَعْطَاهُمْ نِعْمَةً قُدَّامَ كُلِّ الَّذِينَ سَبَوْهُمْ. 47خَلِّصْنَا أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهَنَا، وَاجْمَعْنَا مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ، لِنَحْمَدَ اسْمَ قُدْسِكَ وَنَتَفَاخَرَ بِتَسْبِيحِكَ. 48مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ مِنَ الأَزَلِ وَإِلَى الأَبَدِ. وَيَقُولُ كُلُّ الشَّعْبِ: «آمِينَ». هَلِّلُويَا!

العهد كما يحفظه الإنسان

هذا المزمور خاتمة الكتاب الرابع من سفر المزامير (وقد بدأ بالمزمور التسعين). وهو أحد المزاميرالأربعة التاريخية (78، 105، 106، 136). وقد ذكرنا في مقدمة مزمور 105 أن المزمورين مترابطان، يتحدث أولهما عن أمانة الله في حفظ العهد، ويتحدث مزمورنا عن ضعف الإنسان الذي لا يحفظ العهد، ويعترف فيه صاحبه بنقص الأمانة وإنكار الجميل، وهما صفتان سيئتان لازمتا بني إسرائيل عبر تاريخهم، عبَّر عنهما نحميا بقوله: «أبوا الاستماع ، ولم يذكروا عجائبك التي صنعت معهم، وصلَّبوا رقابهم. وعند تمرُّدهم أقاموا رئيساً ليرجعوا إلى عبوديتهم» (نح 9: 17). ويشبه مزمورنا صلاة تدشين الهيكل لسليمان (1مل 8)، كما يشبه صلاة نحميا (نح 9) وصلاة دانيال (دا 9).

يبدأ مزمورنا بالتهليل «لأن الرب صالح. إلى الأبد رحمته» وهو تعبير ورد 36 مرة في الكتاب المقدس (26 مرة في مزمور 136، كما ورد في 1أي 16: 34 و2أي 5: 13 و7: 3 وعز 3: 11 ومز 100: 5 و106:1 و107: 1 و118: 1، 29 وإر 33: 11). وورد التعبير «إلى الأبد رحمته» خمس مرات، في 1أي 16: 41 و2أي 7: 6 و20: 21 ومز 118: 3، 4. وهي الحقيقة التي شجعت المرنم أن يطلب من الرب أن يعود فيخلِّص شعبه الجاحد، بمن فيهم هو، إذ يقول: «اذكرني يا رب برضا شعبك. تعهَّدني بخلاصك» (آية 4).

وهذا المزمور أول عشرة مزامير تبدأ بكلمة «هللويا» بمعنى «سبحان الله» (وهي مزامير 106، 111،112، 113، 135، 146، 147، 148، 149، 150 وتنتهي بها ما عدا مزموري 111، 112). كما أن المزامير 104، 105، 117 تنتهي بكلمة «هللويا» ولو أنها لا تبدأ بها.

ويتميز هذا المزمور بأنه اعترافات صادقة بخطايا شعبه ومتاعبهم وهزائمهم، يقول فيه كاتبه: «أخطأنا مع آبائنا. أسأنا وأذنبنا» (آية 6). وهو لا يدافع عن شعبه مدفوعاً بالكبرياء الوطنية، ولا يفتخر بنبي ولا كاهن ولا ملك، بل يعتذر عن خطاياهم، ويعزو كل عظمة في تاريخ شعبه إلى أمانة الرب وحفظه للعهد. إنه وصف لصلاح الله وخطية البشر.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – دعوة لنذكر الرب (آيات 1–5)

ثانياً – اعتراف بنقض العهد (آيات 6–46)

ثالثاً – صلاة وتمجيد ختاميان (آيتا 47، 48)

أولاً _ دعوة لنذكر الرب
(آيات 1-5)

1 – نذكره بتعبُّد: (آيتا 1، 2). يبدأ المرنم بكلمة «هللويا» فيدعو المستمع للعبادة وتقديم الشكر، لأن الرب صالح رحيم اختبر المرنم وشعبه عبر العصور صلاحه ورحمته، ونحن أيضاً نشاركهم في القول: «إحسانات الرب أذكر، تسابيح الرب، حسب كل ما كافأنا به الرب والخير العظيم» (إش 63: 7). إن كل خطايا بني إسرائيل لم تضع نهاية لرحمته، فإن صلاح البشر يتعطل، وعصيانهم يستمر، ولكن رحمته تبقى، فيقول المرنم: «إذ قلتُ قد زلَّت قدمي فرحمتك يا رب تعضدني» (مز 94: 18). ولا يستطيع لسان مهما كان بليغاً ولا حنجرة مهما كانت ذهبية أن تخبر بعظمة صنيعه الكثيرة المعجزية.

2 – نذكره بطاعة: (آية 3). وما أسعد من يحفظون الحق الموحى به، ويصنعون البر دائماً، فتفيح منهم رائحة المسيح الذكية، فإنه «هكذا قال الرب: احفظوا الحق وأجروا العدل، لأنه قريب مجيء خلاصي واستعلان بري» (إش 56: 1).

3 – نذكره بانتماء: (آيتا 4، 5). يلتمس المرنم من الرب أن يذكره وشعبه بالرضا، لأن ليس بأحد غيره الخلاص. وهو يتقدم بطلبه بدالة البنين فيقول إن الخلاص «خلاصك» والشعب «شعبك» و«مختاروك» و«أمَّتك» و«ميراثك». ويطلب أن يذكره الرب «برضا شعبك» وأن يكون جوابه السماوي عليه هو: «في وقت القبول استجبتك، وفي يوم الخلاص أعنتك» (إش 49: 8). وهو ينتظر أن يتعهده الرب بخلاص «شعبك» ليرى خير «مختاريك» ويفرح بفرح «أمَّتك» فيفتخر مع «ميراثك». فما أروع أن ندنو من الله مصلين ونحن نثق أننا ننتمي إليه، وأن لنا علاقة شخصية معه.

ثانياً _ اعتراف بنقض العهد
(آيات 6-46)

يقدم المرنم لله اعترافاً عاماً، فيقول: «أخطأنا. أسأنا وأذنبنا» (آية 6). «الكل قد زاغوا معاً. فسدوا. ليس من يعمل صلاحاً. ليس ولا واحد» (مز 14: 3). والخطأ هو عدم إصابة الهدف، والإساءة هي إحداث الضرر بشخص آخر، والذنب هو كسر القانون وارتكاب الأمر المنهي عنه. وفي الآيات 7–47 يعترف المرنم تفصيلياً بخطاياه وخطايا شعبه عبر تاريخهم، لأنه «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم» (1يو 1: 9).

1 – نقض العهد وقت الخروج: (آيات 7–12). كان التذمر ونقص الإيمان بالله هو خطأ بني إسرائيل الأول عند البحر الأحمر، وسببه النسيان وعدم الفهم، وهو ما ذكره موسى في نشيده بعد أن أكمل كتابة التوراة، فقال: «إنهم أمَّة عديمة الرأي، ولا بصيرة فيهم. لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأملوا آخرتهم» (تث 38: 28، 29). ويروي سفر الخروج (14: 10–12) هذا الخطأ، فبعد الضربات التي حلَّت بفرعون، أمر بخروجهم، ولكنه ندم وتابعهم إلى الشاطئ الغربي للبحر الأحمر. ولما رأوا البحر أمامهم والعدو خلفهم، قالوا لموسى: «هل لأنه ليست قبورٌ في مصر أخذتنا لنموت في البرية؟.. لأنه خيرٌ لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية». لم يفهموا نعمة الله، ولا أدركوا محبته لهم، ولا قدرته على إنقاذهم. ويصف المرنم خطيتهم بأنها تمرد على الإرادة الإلهية.. وكان يمكن أن يعطيهم الله

طلبهم فيعيدهم إلى مصر، ولكنه من أجل اسمه ورحمته خلَّصهم، ليعرف الأمم أنه القادر على كل شيء. وشقَّ البحر الأحمر فعبروا، الأمر الذي لما شرع فيه المصريون غرقوا. وهنا آمن بنو إسرائيل بكلام ربهم وغنوا بتسبيحه. ولكن هذا كان مؤقتاً، فسرعان ما عادوا إلى نسيانهم وجهلهم وتمردهم.

2 – نقض العهد في صحراء سيناء: (آيات 13–23).

(أ) تذمر على الطعام: (آيات 13–15). بعد عبور البحر الأحمر بثلاثة أيام تذمروا بسبب نقص الماء (خر 15: 22–24)، وبعد هذا بستة أسابيع تذمروا على الطعام (خر 16: 2–4)، وفي رفيديم عادوا يتذمرون بسبب الماء (خر 17: 2–4)، ونسوا عطايا الرب، ولم ينتظروا مشورته وخططه لصالحهم، وقالوا: «من يطعمنا لحماً؟ قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً، والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم. والآن قد يبست أنفسنا. ليس شيء غير أن أعيننا إلى هذا المن» (عد 11: 4–6). وأعطاهم الله ما طلبوا، لكنه عاقبهم «وإذ كان اللحم بعد بين أسنانهم.. ضرب الرب الشعب ضربة عظيمة جداً» (عد 11: 33). ودُعي ذلك المكان «قبروت هتأوة» أي قبور الشهوة.

(ب) تذمر على موسى وهارون: (آيات 16–18). قاوم قورح وجماعة من قادة بني إسرائيل موسى وهارون وقالوا: «كفاكما. إن الجماعة بأسرها مقدسة، وفي وسطها الرب. فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب؟» (عد 16: 3). ورفع موسى مظلمته إلى الله، فعاقب الرب المتمردين بأن «فتحت الأرض فاها وابتلعتهم وبيوتهم.. وخرجت نار من عند الرب وأكلت المئتين والخمسين رجلاً» (عد 16: 32، 35). ومن المؤسف أن بين المؤمنين من يصيبه الغرور وتمتلكه الكبرياء كما حدث مع جماعة قورح، فينافس إخوته، وتكون النتيجة أن جماعة الرب تدفع ثمن هذه المنافسة الجسدانية. وما أحوج كل مؤمن إلى سماع النصيحة: «لا يرتئي أحد فوق ما ينبغي أن يرتئي، بل يرتئي إلى التعقُّل، كما قسم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان» (رو 12: 3).

(ج) تذمر على الله: (آيات 19–23). في سيناء صعد موسى إلى جبل حوريب ليتلقى لوحي الشريعة من الرب، وقضى هناك أربعين يوماً، فظن بنو إسرائيل أنه مات، وطلبوا من هارون أن يصنع لهم عجلاً يعبدونه، فصنعه من الذهب الذي أخذوه من المصريين (تث 9: 7–21). ولا شك أنهم كانوا متأثرين بعبادة العجل أبيس أحد معبودات المصريين. وأخذوا يهتفون: «هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر» (خر 32: 8). وكان عملهم هذا ثورة ضد الله الذي أمر بعدم صنع تماثيل يعبدونها (خر 20: 4)، كما أنه نسيان لفضل الرب عليهم. وأراد الرب أن يهلكهم لولا أنه استجاب صلاة موسى من أجلهم (خر 32: 9–14).

3 – نقض العهد على مشارف أرض كنعان: (آيات 24–33).

(أ) ثورة للعودة إلى مصر: (آيات 24–27). أرسل موسى اثني عشر قائداً كجواسيس يستطلعون أحوال الأرض التي سيمتلكونها حسب وعد الرب لهم (عد 13، 14)، فعادوا بتقرير عن عظمة الأرض، ولكنهم قالوا إنهم لا يقدرون أن يمتلكوها لأن العمالقة ساكنون فيها، وقالوا: «كنا في أعيننا كالجراد، وهكذا كنا في أعينهم» (عد 13: 33). فصرخ بنو إسرائيل: «ليتنا متنا في أرض مصر، أو ليتنا متنا في القفر. لماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف؟.. أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر؟.. نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر» (عد 14: 2–4). ويقول المرنم إنهم في هذا الموقف ارتكبوا خطايا متعددة، فقد رذلوا أرض الميعاد التي ترمز إلى أورشليم السماوية، ولم يؤمنوا بوعد الرب، وتذمروا، وعصوا الأوامر الإلهية. ولكن الله عفا عنهم استجابة لصلاة موسى وهارون من أجلهم (عد 14: 13–19).

(ب) الاشتراك في نجاسة العبادة الوثنية: (آيات 28–31). ارتبطت كثير من العبادات الوثنية بالزنا، وقد اشترك بنو إسرائيل مع النسوة الموآبيات في هذه العبادة الفاسدة، وعبدوا وثنهم «بعل فغور» (عد 25). (فغور اسم مكان). ويقول المرنم إنهم أكلوا ذبائح الأوثان الموتى، مع أن إلههم هو الرب الحي. فغضب الرب عليهم وأصابهم بالوبأ الذي قتل منهم أربعة وعشرين ألفاً (عد 25: 9). فقلم فينحاس بن هارون وقتل رجلاً إسرائيلياً وامرأة موآبية كانت تخطئ معه فامتنع الوبأ، وقال الله عن فينحاس: «أعطيه ميثاقي، ميثاق السلام، فيكون له ولنسله من بعده ميثاق كهنوت أبدي» (عد 25: 12، 13).

(ج) التذمر عند ماء مريبة: (آيتا 32، 33). مريبة معناها خصام. فعندما وصل الشعب إلى مريبة لم يجدوا ماءً، فاجتمعوا على موسى وهارون وخاصموهما، وصرخوا: «ليتنا فنينا فناء إخوتنا أمام الرب. لماذا أتيتما بجماعة الرب إلى هذه البرية لكي نموت فيها نحن ومواشينا؟ ولماذا أصعدتمانا من مصر لتأتيا بنا إلى هذا المكان الرديء؟ ليس هو مكان زرع وتين وكرم ورمان، ولا فيه ماء للشرب» (عد 20: 3–5). وتأذّى موسى بسبب هذه الشكوى، وصرخ إلى الرب فأمره أن يكلم الصخرة لتُخرج ماءً، لكنه في

غضبه، ولأن روحه كانت مُرَّة بسبب كلامهم غضب وهو الحليم، وأخطأ وضرب الصخرة، فخرج الماء غزيراً. وبسبب خطإ موسى حرمه الله من دخول أرض كنعان.

4 – نقض العهد في أرض كنعان: (آيات 34–46).

(أ) **الخطأ**: (آيات 34–39). يوضح المرنم خطايا بني إسرائيل بعد دخولهم أرض الموعد بأنهم عصوا أمر الرب ولم يستأصلوا سكان تلك الأرض، كما قيل: «بنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان أورشليم، فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين» (قض 1: 21. راجع قض 1: 27، 29 و2: 1).. مع أن الأمر باستئصالهم تكرر في أماكن كثيرة، منها خر 23: 32، 33 وتث 7: 2–4. وكانت نتيجة هذا أن اختلط بنو إسرائيل بالأمم الوثنية وتعلموا منهم عبادتهم، ثم عبدوا أصنامهم، وذبحوا بنيهم وبناتهم للأصنام ليرضوا عليهم ويزيدوا محاصيلهم، كما كان الكنعانيون يفعلون. وبهذا خانوا عهودهم مع الرب إلههم، وتلوَّثوا بشرور الوثنيين، فإن «المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة» (1كو 15: 33).

(ب) **العقاب**: (آيات 40–43). غضب الرب على بني إسرائيل بسبب خياناتهم الكثيرة وزيغانهم المستمر، فأسلمهم ليد الشعوب المحيطة بهم، فاستعبدوهم وأذلوهم. ومع هذا كان يشفق عليهم ويقيم لهم قضاةً لينقذوهم، مثل جدعون (قض 6) ويفتاح (قض 11) وشمشون (قض 13). غير أنهم استمروا في عصيانهم.

(ج) **أمانة الله لعهده**: (آيات 44–46). ظل الرب أميناً لعهده مع بني إسرائيل فسمع صراخهم، ونظر إلى ضيقهم، وذكر عهده معهم، وأنقذهم من أعدائهم، بل إنه أعطاهم نعمة أمام كل من حاربوهم، استجابة لصلاة سليمان: «اغفر لشعبك ما أخطأوا به إليك، وجميع ذنوبهم التي أذنبوا بها إليك، وأعطهم رحمة أمام الذين سبوهم فيرحموهم» (1مل 8: 50). وتاريخ بني إسرائيل سلسلة من ارتكاب الشر، فوقوع العقاب، فالصراخ طلباً للرحمة والإنقاذ، فحلول الرحمة الإلهية والنجاة، ليعودوا من جديد يمارسون الخطأ نفسه. وهذا هو تاريخ الإنسان الخطاء الذي يعصى وصايا الرب، فيؤدبه. ويصرخ في آلامه فيتحنن عليه إله الرأفة وينقذه، فيقول: «بالنهار يوصي الرب رحمته، وبالليل تسبيحه عندي صلاة لإله حياتي» (مز 42: 8).

ثالثاً _ صلاة وتمجيد ختاميان
(آيتا 47، 48)

1 – صلاة: (آية 47). بعد أن ذكر المرنم خطايا شعبه عبر التاريخ بالتفصيل واعترف بها بأمانة، رفع صلاة كأنه يقول فيها: «ما أفظع الخطايا الكثيرة التي ارتكبناها، والتي عاقبتنا عليها برحمة، لأننا كنا نستحق عقاباً أشد مما حلَّ بنا. ولكننا الآن نعترف بها ونتوب عنها، ونلجأ إلى غنى رحمتك، فأعِدنا إلى أرضنا ونعدك أن نكون أمناء للعهد هذه المرة، فنسبح لك ونتفاخر بهذا التسبيح، فنحن لا نزال شعبك الذي دُعي عليه اسمك، وأنت سيدنا وملاذنا الوحيد الذي عليه نتكل وبه نبتهج».

2 – تمجيد: (آية 48). يمكن أن يكون هذا التمجيد خاتمة هذا المزمور، كما يمكن أن يكون تمجيداً يختم الكتاب الرابع من سفر المزامير، الذي بدأ بالمزمور التسعين. وفي هذا التمجيد يبارك المرنم ربَّه الأمين لعهده من الأزل وإلى الأبد، كما مجَّده داود عندما بارك بني إسرائيل قائلاً: «مباركٌ أنت أيها الرب إله إسرائيل أبينا من الأزل وإلى الأبد.. والآن يا إلهنا نحمدك ونسبح اسمك الجليل» (1أي 29: 10، 13). وكما طلب اللاويون من بني إسرائيل أن يمجدوه قائلين: «قوموا باركوا الرب إلهكم من الأزل إلى الأبد، وليتبارك اسم جلالك المتعالي على كل بركة وتسبيح» (نح 9: 5).

الجزء الخامس

المزمور المئة والسابع

إلى المزمور المئة والخمسين

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالسَّابِعُ

1 احْمَدُوا الرَّبَّ لأَنَّهُ صَالِحٌ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. 2لِيَقُلْ مَفْدِيُّو الرَّبِّ الَّذِينَ فَدَاهُمْ مِنْ يَدِ الْعَدُوِّ، 3وَمِنَ الْبُلْدَانِ جَمَعَهُمْ، مِنَ الْمَشْرِقِ وَمِنَ الْمَغْرِبِ، مِنَ الشِّمَالِ وَمِنَ الْبَحْرِ. 4تَاهُوا فِي الْبَرِّيَّةِ فِي قَفْرٍ بِلاَ طَرِيقٍ. لَمْ يَجِدُوا مَدِينَةَ سَكَنٍ. 5جِيَاعٌ عِطَاشٌ أَيْضاً أَعْيَتْ أَنْفُسُهُمْ فِيهِمْ، 6فَصَرَخُوا إِلَى الرَّبِّ فِي ضِيقِهِمْ فَأَنْقَذَهُمْ مِنْ شَدَائِدِهِمْ، 7وَهَدَاهُمْ طَرِيقاً مُسْتَقِيماً لِيَذْهَبُوا إِلَى مَدِينَةِ سَكَنٍ. 8فَلْيَحْمَدُوا الرَّبَّ عَلَى رَحْمَتِهِ وَعَجَائِبِهِ لِبَنِي آدَمَ.

9لأَنَّهُ أَشْبَعَ نَفْساً مُشْتَهِيَةً، وَمَلأَ نَفْساً جَائِعَةً خُبْزاً، 10الْجُلُوسَ فِي الظُّلْمَةِ وَظِلاَلِ الْمَوْتِ مُوثَقِينَ بِالذُّلِّ وَالْحَدِيدِ. 11لأَنَّهُمْ عَصَوُا كَلاَمَ اللهِ وَأَهَانُوا مَشُورَةَ الْعَلِيِّ، فَأَذَلَّ قُلُوبَهُمْ بِتَعَبٍ. عَثَرُوا وَلاَ مُعِينَ. 13ثُمَّ صَرَخُوا إِلَى الرَّبِّ فِي ضِيقِهِمْ فَخَلَّصَهُمْ مِنْ شَدَائِدِهِمْ. 14أَخْرَجَهُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ وَظِلاَلِ الْمَوْتِ، وَقَطَّعَ قُيُودَهُمْ. 15فَلْيَحْمَدُوا الرَّبَّ عَلَى رَحْمَتِهِ وَعَجَائِبِهِ لِبَنِي آدَمَ، 16لأَنَّهُ كَسَّرَ مَصَارِيعَ نُحَاسٍ وَقَطَّعَ عَوَارِضَ حَدِيدٍ.

17وَالْجُهَّالُ مِنْ طَرِيقِ مَعْصِيَتِهِمْ، وَمِنْ آثَامِهِمْ يُذَلُّونَ. 18كَرِهَتْ أَنْفُسُهُمْ كُلَّ طَعَامٍ وَاقْتَرَبُوا إِلَى أَبْوَابِ الْمَوْتِ. 19فَصَرَخُوا إِلَى الرَّبِّ فِي ضِيقِهِمْ، فَخَلَّصَهُمْ مِنْ شَدَائِدِهِمْ. 20أَرْسَلَ كَلِمَتَهُ فَشَفَاهُمْ، وَنَجَّاهُمْ مِنْ تَهْلُكَاتِهِمْ. 21فَلْيَحْمَدُوا الرَّبَّ عَلَى رَحْمَتِهِ وَعَجَائِبِهِ لِبَنِي آدَمَ، 22وَلْيَذْبَحُوا لَهُ ذَبَائِحَ الْحَمْدِ، وَلْيُعْدُّوا أَعْمَالَهُ بِتَرَنُّمٍ.

23اَلنَّازِلُونَ إِلَى الْبَحْرِ فِي السُّفُنِ، الْعَامِلُونَ عَمَلاً فِي الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ،24هُمْ رَأَوْا أَعْمَالَ الرَّبِّ وَعَجَائِبَهُ فِي الْعُمْقِ. 25أَمَرَ فَأَهَاجَ رِيحاً عَاصِفَةً فَرَفَعَتْ أَمْوَاجَهُ. 26يَصْعَدُونَ إِلَى السَّمَاوَاتِ. يَهْبِطُونَ إِلَى الأَعْمَاقِ. ذَابَتْ أَنْفُسُهُمْ بِالشَّقَاءِ. 27يَتَمَايَلُونَ وَيَتَرَنَّحُونَ مِثْلَ السَّكْرَانِ، وَكُلُّ حِكْمَتِهِمِ ابْتُلِعَتْ، 28فَيَصْرُخُونَ إِلَى الرَّبِّ فِي ضِيقِهِمْ، وَمِنْ شَدَائِدِهِمْ يُخَلِّصُهُمْ. 29يُهَدِّئُ الْعَاصِفَةَ فَتَسْكُنُ وَتَسْكُتُ أَمْوَاجُهَا، 30فَيَفْرَحُونَ لأَنَّهُمْ هَدَأُوا، فَيَهْدِيهِمْ إِلَى الْمَرْفَإِ الَّذِي يُرِيدُونَهُ. 31فَلْيَحْمَدُوا الرَّبَّ عَلَى رَحْمَتِهِ وَعَجَائِبِهِ لِبَنِي آدَمَ، 32وَلْيَرْفَعُوهُ فِي مَجْمَعِ الشَّعْبِ، وَلْيُسَبِّحُوهُ فِي مَجْلِسِ الْمَشَايِخِ.

33يَجْعَلُ الأَنْهَارَ قِفَاراً. وَمَجَارِيَ الْمِيَاهِ مَعْطَشَةً، 34وَالأَرْضَ الْمُثْمِرَةَ سَبَخَةً مِنْ شَرِّ السَّاكِنِينَ فِيهَا. 35يَجْعَلُ الْقَفْرَ غَدِيرَ مِيَاهٍ، وَأَرْضاً يَبَساً يَنَابِيعَ مِيَاهٍ. 36وَيُسْكِنُ هُنَاكَ الْجِيَاعَ، فَيُهَيِّئُونَ مَدِينَةَ سَكَنٍ، 37وَيَزْرَعُونَ حُقُولاً وَيَغْرِسُونَ كُرُوماً، فَتَصْنَعُ ثَمَرَ غَلَّةٍ. 38وَيُبَارِكُهُمْ فَيَكْثُرُونَ جِدّاً، وَلاَ يُقَلِّلُ بَهَائِمَهُمْ. 39ثُمَّ يَقِلُّونَ وَيَنْحَنُونَ مِنْ ضَغْطِ الشَّرِّ وَالْحُزْنِ. 40يَسْكُبُ هَوَاناً عَلَى رُؤَسَاءَ، وَيُضِلُّهُمْ فِي تِيهٍ بِلاَ طَرِيقٍ، 41وَيُعَلِّي الْمِسْكِينَ مِنَ الذُّلِّ، وَيَجْعَلُ الْقَبَائِلَ مِثْلَ قُطْعَانِ الْغَنَمِ. 42يَرَى ذَلِكَ الْمُسْتَقِيمُونَ فَيَفْرَحُونَ، وَكُلُّ إِثْمٍ يَسُدُّ فَاهُ. 43مَنْ كَانَ حَكِيماً يَحْفَظُ هَذَا، وَيَتَعَقَّلُ مَرَاحِمَ الرَّبِّ.

ترنيمة المفديين

هذا المزمور بداية الجزء الخامس من سفر المزامير، ويتناسق هذا الجزء مع سفر التثنية الذي ينبِّر على كلمة الله (انظر مقدمة الكتاب). ومزمورنا ترنيمة كل مؤمن فداه الله، يذكر فيه المرنم صوراً من واقع الحياة لصلوات مستجابة وترانيم مرتفعة من تقي قد يكون تائهاً في صحراء يكاد يهلك من العطش والجوع فيهديه الطريق إلى أرض الرحب، أو قد يكون سجيناً عقاباً على ذنب جناه فيطلقه إلى الحرية، أو قد يكون مريضاً على فراشه بسبب خطاياه فيمنحه الشفاء، أو قد يكون على ظهر سفينة موشكة على الغرق فيوصله إلى الشاطئ بأمان.. ولعل المرنم كتب هذا المزمور وهو في قمة فرحه على العودة من السبي، فجعل يذكر بركات الله على كل شعب الله المفدي. و«من كان حكيماً يحفظ هذا ويتعقَّل مراحم الرب» (آية 43).

يبدأ مزمورنا بالقول: «احمدوا الرب لأنه صالح. لأن إلى الأبد رحمته» وهو تعبير ورد 36 مرة في الكتاب المقدس (26 مرة في مزمور 136، كما ورد في 1أي 16: 34 و2أي 5: 13 و7: 3، عز 3: 11 و مز 100: 5 و106: 1 و107: 1 و118: 1، 29، إر 33: 11). وورد التعبير «إلى الأبد رحمته» خمس مرات، في 1أي 16: 41 و2أي 7: 6 و20: 21 ومز 118: 3، 4.

وهناك ارتباط بين هذا المزمور وسابقَيْه، ففي مز 105: 44 وعدٌ بالأرض يبرهن أمانة الله لعهوده، وفي مز 106: 27 عقاب في الأرض على عدم أمانة الإنسان في حفظ عهوده، وفي مزمورنا (آية 3) أمانة الله في استجابة الصلاة وعودة شعبه إلى أرضهم.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – فرحة الفداء (آيات 1–3)

ثانياً – ضعف الإنسان (آيات 4–32)

ثالثاً – قوة الله (آيات 33–42)

رابعاً – دعوة للحكمة (آية 43)

أولاً _ فرحة الفداء

(آيات 1-3)

1 – لأن الرب صالح: (آية 1). يدعو المرنم الشعب أن يسبحوا الرب ويحمدوه لأجل صلاحه الظاهر في عنايته، فقد جهَّز جنة عدن لآدم وحواء من قبل أن يخلقهما، ولكن صلاحه ظهر بصورة أعمق لما ستر عريهما بعد أن سقطا. ولا زلنا نختبر كل يوم صلاح إله العناية وإله الفداء، ورحمته الأبدية التي لا تتغيَّر، فإنه لا يعاملنا حسب خطايانا، بل يتنازل إلينا بغفرانه في المسيح، فنقول: «الله بيَّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا» (رو 5: 8).

2 – لأن الرب فادٍ: (آية 2). يقصد المرنم أن بني إسرائيل كانوا أسرى في بابل، ففداهم الله من يد العدو، كما سبق أن فداهم من سوء تعذيبات فرعون، وعبَّر الملاك المهلك الذي رأى الدم على أبوابهم (خر 12: 13، 14). والفادي هو الوليُّ الأقرب. والفداء الأعظم طبعاً هو الفداء من أسر إبليس «لأنه لا فرق، إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله، متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدَّمه الله كفارة بالإيمان بدمه، لإظهار برِّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة، بإمهال الله» (رو 3: 22–25). والمسيح هو الوليُّ الأقرب، لأنه في ملء الزمان صار الكلمة جسداً وحلَّ بيننا، ويقول المؤمنون إنهم من ملئه أخذوا نعمة فوق نعمة. فندعوه قائلين: «اقترِب إلى نفسي. فُكَّها. بسبب أعدائي افدني» (مز 69: 18).

3 - لأن الرب يجمع: (آية 3). وعد الله أنه بعد سبعين سنة من السبي يُعيد شعبه من بابل إلى أرضهم، وحقق وعده كما تنبأ إشعياء: «يرفع راية للأمم ويجمع منفيي إسرائيل ويضم مشتَّتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض» (إش 11: 12). وفي هذه الآية يسجل المرنم استجابة الطلبة المرفوعة في ختام المزمور السابق: «خلِّصنا أيها الرب إلهنا واجمعنا.. لنحمد اسم قدسك ونتفاخر بتسبيحك» (مز 106: 47). ونحن اليوم نشكر الله الذي يرد نفوسنا من سبي الخطية وأسرها، فنقول: «يرد نفسي. يهديني إلى سبُل البر من أجل اسمه» (مز 23: 3).

ثانياً _ ضعف الإنسان

(آيات 4-32)

1- الإنسان التائه: (آيات 4–9). يقدم المرنم صورة للضعف الإنساني متمثِّلاً في مسافرين في الصحراء ضلوا طريقهم، وكادوا يهلكون عطشاً وجوعاً، ولم يجدوا بلداً يمكن أن يجدوا فيها الشراب والطعام والمأوى، فصرخوا إلى الرب، فأنقذهم بأن هداهم إلى الطريق الصحيح حيث وجدوا بلداً آهلة بالسكان. ويدعوهم المرنم إلى شكر الرب على رحمته ومعجزاته.. وهي صورة الإنسان الضال بعيداً عن بيت الآب، فيصرخ: «اللهم ارحمني أنا الخاطي» فيهديه الرب إلى المسيح الذي هو الطريق والحق والحياة (يو 14: 6)، مريح التعابى (مت 11: 28)، الذي يروي الظمأ بمائه الحي (يو 4: 10)، ويشبع الجوع بخبز الحياة (يو 6: 51)، ويهدي إلى المدينة السماوية (عب 12: 22–24). فالمجد للرب الذي ملأ نفساً جائعة خبزاً، كما أشبع الابن الضال الذي لم يكن يجد طعام الخنازير، فأشبعه بوليمة أبوية (لو 15)، «كما هو مكتوب: ما لم ترَ عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان، ما أعدَّه الله للذين يحبونه، فأعلنه لنا بروحه» (1كو 2: 9، 10).

2 - الإنسان السجين: (آيات 10–16). يقدم المرنم صورة ثانية للضعف الإنساني متمثِّلة في سجناء موثقين في ظلمة سجن لأنهم ارتكبوا ذنباً، وهم في غاية الذل، ليس لهم محامٍ ولا مدافع. وصرخوا إلى الرب: «اذكرني يا رب» فسمع صرختهم وأنقذهم وأخرجهم من الظلمة وقطع قيودهم. ويدعوهم المرنم إلى شكر الرب على رحمته ومعجزاته، لأنه يكسر الأبواب الضخمة النحاسية، ويقطع

العوارض الحديدية، فيقول كل منهم: «حللت قيودي، فلك أذبح ذبيحة حمد، وباسم الرب أدعو» (مز 116: 16، 17).. وهي صورة الإنسان السجين في خطاياه، فيخلِّصه المسيح ويشرق عليه بنوره (يو 8: 12) ويطلقه حراً (يو 8: 36) ويرفعه من حفرة السجن، ويقدم له العون، فهو «المشرق من العلاء ليضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت، لكي يهدي أقدامنا في طريق السلام» (لو 1: 78، 79) وهو الذي قال: «أُرسل المنسحقين في الحرية» (لو 4: 19).

3 - الإنسان المريض: (آيات 17–22). يقدم المرنم صورة ثالثة للضعف الإنساني متمثلة في جهّال كان ضلالهم عن سواء السبيل سبباً في مرضهم. وقد تكون الخطية سبباً للمرض، كما قال المسيح لمريضٍ شفاه: «ها أنت قد برئت، فلا تخطئ أيضاً لئلا يكون لك أشر!» (يو 5: 14). ولكن الخطية ليست سبباً لكل مرض، فلم يكن المولود أعمى قد أخطأ، ولا أخطأ أبواه (يو 9: 2، 3). والحالة التي يصفها المرنم حالة مريض خاطئ فقد شهيته للطعام فهزل جسده حتى اقترب من الموت، فصرخ إلى الرب طالباً الإنقاذ، فأرسل الرب كلمته وشفاه ونجّاه من الموت. وكلمة الله تحمل سلطان الله، فهو الذي يقول فيكون. إنها «حية وفعالة وأمضى من كل سيفٍ ذي حدَّين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ» (عب 4: 12). ويدعو المرنم أمثال هذا المريض أن يشكروا الرب على رحمته ومعجزاته، وأن يذبحوا له ذبائح الحمد، ويُحصوا أفضال الله عليهم بترنُّم.. وقد أوصى الرسول يعقوب بالصلاة لأجل المريض في قوله: «أمريضٌ أحدٌ بينكم؟ فليدعُ شيوخ الكنيسة فيصلّوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب، وصلاة الإيمان تشفي المريض، والرب يقيمه، وإن كان قد فعل خطية تُغفَر له. اعترِفوا بعضكم لبعضٍ بالزلات، وصلّوا بعضكم لأجل بعض لكي تُشفوا. طلبة البار تقتدر كثيراً في فعلها» (يع 5: 14–16).عندها يقدم الذي نال الشفاء «ذبيحة التسبيح، أي ثمر شفاه معترفة باسمه» (عب 13: 15).

4 - الإنسان الغارق: (آيات 23–32). ويقدم المرنم صورة رابعة للضعف الإنساني متمثلة في مجموعة ملاحين متمرسين في البحر بسبب طبيعة عملهم، وقد جازوا من قبل في عواصف عاتية واختبروا عجائب الله في المياه العميقة. ولكن الله أمر الرياح العاصفة أن تحرك الأمواج، فجعلت سفينتهم تعلو ثم تهبط بسرعة كبيرة ولمسافات عظيمة، وهم يترنحون كالسكارى، لا يجدون في حكمتهم السابقة ما يمكِّنهم من مواجهة هذا الموقف الأخير المرعب، فاكتشفوا جميعاً أنهم صغار ضعاف. ولما وجد هؤلاء الشجعان المختبرون أنفسهم عاجزين في مواجهة البحر، عرفوا أنه لا ملجأ لهم إلا رحمة الله، فصرخوا إليه فسمع صراخهم، وأمر الرياح والأمواج فصار هدوء، ثم أبلغهم وُجهتهم سالمين. فوجب عليهم أن يحمدوه على رحمته ومعجزاته.. وقال رجل حكيم: «دعِ الذي لا يعرفون الصلاة أن يواجهوا البحر». وهذه صورة كل من يواجه مشاكل في دائرة تخصصه يجد نفسه عاجزاً عن مواجهتها رغم كل ما عنده من خبرة، فيصرخ إلى الله فينقذه، فيهتف «انتظاراً انتظرت الرب فمال إليَّ وسمع صراخي، وأصعدني من جب الهلاك، من طين الحمأة، وأقام على صخرة رجليَّ. ثبَّت خطواتي، وجعل في فمي ترنيمة جديدة، تسبيحة لإلهنا» (مز 40: 1–3). كما أنها صورة المؤمن المختبر الذي تعمَّق وتثور عليه العاصفة، فيصرخ: «أما يهمك أننا نهلك؟» فينتهر الرب الريح فيسود الهدوء وتطمئن النفس (مر 4: 37–41).

ثالثاً _ قوة الله
(آيات 33-42)

1 – يجعل القفر غدير مياه: (آيات 33–38). تقول هذه الآيات إن الله يحوِّل الأراضي الخصبة إلى صحارى بسبب شرور أهلها، كما قال موسى إن الرب يضرب أرض الخطاة، فتصير «كبريتاً وملحاً. كل أرضها حريق. لا تُزرع ولا تنبت ولا يطلع فيها عشبٌ ما، كانقلاب سدوم وعمورة وأدمة وصبوييم التي قَلَبَها الرب بغضبه» (تث 29: 23)، كما أنه يُنزِل مطره على الصحراء الجرداء فتصير أرضاً خضراء يجد فيها الجياع طعاماً والفقراء مكاناً للسكن، كما يقول إشعياء: «انفجرت في البرية مياه وأنهار في القفر، ويصير السراب أجَماً والمعطشة ينابيع ماء» (إش 35: 6، 7)، فتكثر المراعي للقطعان المتزايدة، ويزرعون حقولاً ويغرسون كروماً ويباركهم فيزيد عددهم. وهذه صورة للبشر الذين يرجعون للرب تائبين، فيرويهم من الماء الحي كما روى السامرية (يو 4)، وصورة للذين يرفضون الرب كما رفضه يهوذا الإسخريوطي فهلك (يو 17: 12).

2 – يرفع المتواضع: (آيات 39–42). عندما تزيد ثروة الناس وخيراتهم قد يتكبَّرون، فيوقع الله بهم عقابه فينقص عددهم بالموت، وتضيع بهجتهم ويفقدون سلامهم وينحنون من ضغط الشر والحزن الذي ارتكبوه بالقول والفعل. ويقع الذل والهوان برؤسائهم المتكبرين فيضلون في طرقهم الشريرة.. أما المساكين بالروح، الذين يؤمنون أن كل ما عندهم عطية من عند الرب، فيرفعهم من ذل المسكنة ويزيد

عددهم وتنمو ثروتهم الحيوانية. «لأن الله يقاوم المستكبرين، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة» (1بط 5: 5). فيستدّ كل فم يتكلم ضد الله، ويفرح المستقيمون بأمانة إلههم وصلاحه، لأن إلى الأبد رحمته.

رابعاً _ دعوة للحكمة

(آية 43)

«من كان حكيماً يحفظ هذا، ويتعقَّل مراحم الرب». كل من كان حكيماً يتأمل عمل الرب الفادي الذي ينقذ الإنسان الضعيف من ضعفاته، ويعاقب الشرير على شروره، وينصف المسكين ويرفعه لا بد يحفظ هذا في قلبه كما فعلت العذراء وهي تسمع عن أعجب معجزة، فكانت «تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها» (لو 2: 51). ولا بد أن الشرير يتَّعظ ويتوب، كما أن المؤمن يزيد اعتماده على الرب وطاعته. وما أجمل القول النبوي: «من هو حكيمٌ حتى يفهم هذه الأمور، وفهيم حتى يعرفها؟ فإن طرق الرب مستقيمة والأبرار يسلكون فيها، وأما المنافقون فيعثرون فيها» (هو 14: 9).

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّامِنُ

تَسْبِيحَةٌ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

1 ثَابِتٌ قَلْبِي يَا اللهُ. أُغَنِّي وَأُرَنِّمُ. كَذَلِكَ مَجْدِي. 2اسْتَيْقِظِي أَيَّتُهَا الرَّبَابُ وَالْعُودُ. أَنَا أَسْتَيْقِظُ سَحَراً. 3أَحْمَدُكَ بَيْنَ الشُّعُوبِ يَا رَبُّ، وَأُرَنِّمُ لَكَ بَيْنَ الأُمَمِ. 4لأَنَّ رَحْمَتَكَ قَدْ عَظُمَتْ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، وَإِلَى الْغَمَامِ حَقُّكَ. 5ارْتَفِعِ اللهُمَّ عَلَى السَّمَاوَاتِ، وَلْيَرْتَفِعْ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ مَجْدُكَ، 6لِكَيْ يَنْجُوَ أَحِبَّاؤُكَ. خَلِّصْ بِيَمِينِكَ وَاسْتَجِبْ لِي.

7اَللهُ قَدْ تَكَلَّمَ بِقُدْسِهِ. أَبْتَهِجُ. أَقْسِمُ شَكِيمَ، وَأَقِيسُ وَادِيَ سُكُّوتَ. 8لِي جِلْعَادُ. لِي مَنَسَّى. أَفْرَايِمُ خُوذَةُ رَأْسِي. يَهُوذَا صَوْلَجَانِي. 9مُوآبُ مِرْحَضَتِي. عَلَى أَدُومَ أَطْرَحُ نَعْلِي. يَا فَلَسْطِينُ اهْتِفِي عَلَيَّ.

10مَنْ يَقُودُنِي إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُحَصَّنَةِ؟ مَنْ يَهْدِينِي إِلَى أَدُومَ؟ 11أَلَيْسَ أَنْتَ يَا اللهُ الَّذِي رَفَضْتَنَا وَلاَ تَخْرُجُ يَا اللهُ مَعَ جُيُوشِنَا؟ 12أَعْطِنَا عَوْناً فِي الضِّيقِ، فَبَاطِلٌ هُوَ خَلاَصُ الإِنْسَانِ. 13بِاللهِ نَصْنَعُ بِبَأْسٍ، وَهُوَ يَدُوسُ أَعْدَاءَنَا.

ترنيمة المنتصرين

هذا المزمور اقتباس من مزمورين، فنصفه الأول (آيات 1-6) مقتبس من النصف الثاني من مزمور 57 (آيات7-11)، ونصفه الثاني (آيات 7-13) مقتبس من النصف الثاني من مزمور 60 (آيات 6-12). ومزمورا 57 و60 يعبِّران في بدايتهما عن بؤس داود، ولكنهما يختتمان بأمله وثقته في الانتصار بالرب. ولما كان المرنم قد اقتبس ختامهما يكون قد هتف بنشيد المنتصر الذي امتلأ قلبه بكل الأمل والثقة والشكر. كان المرنم في المزامير الثلاثة السابقة قد دعا شعبه لحمد الرب (105: 1-3 و106: 1 و107: 1)، وها هو في مزمورنا يعمل بالوصية التي سبق أن أوصى بها، فيؤكد أن من اختبر الصليب لا بد أن يتمتع بعده بالقيامة. فإن كنا نحمل صليبنا ونُدفن مع المسيح بالمعمودية للموت، فلا بد أن نقوم معه في جِدَّة الحياة، ويصير لنا أمل رائع في المستقبل (رو 6: 4). «صادقة هي الكلمة: إن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضاً معه» (2تي 2: 13). إن ملكنا المنتصر آتٍ ثانية، لأنه لا بد أن يملك ليضع أعداءه موطئاً لقدميه. لقد وعدنا بذلك، وهو أمين لوعوده، صادق في محبته، سخي في عطاياه «إنما لله انتظري يا نفسي لأن من قِبَله رجائي» (مز 62: 5).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – التسبيح في الصعوبة (آيات 1-6)

ثانياً – تحقيق المواعيد رغم الصعوبة (آيات 7-13)

أولاً ـ التسبيح في الصعوبة
(آيات 1-6)

1 – اطمئنان صاحب التسبيح: «ثابتٌ قلبي يا الله» (آية 1أ). بدأ المرنم بإعلان طمأنينته بالرب لأنه واثق فيه معتمد على صُحبته، وشعاره: «من لي في السماء؟ ومعك لا أريد شيئاً في الأرض» (مز 73: 25). أحياناً يقول المؤمن: خائف قلبي، لأن رياح الحياة تهبُّ عليَّ، ولأن العواصف والأمواج تحيط بسفينتي وتهدد سلامتها. ولكن عندما يوجد الرب في سفينة حياة مؤمن لا يمكن أن يهلك ذلك المؤمن، بل يهتف: «جعلتَ سروراً في قلبي أعظم من سرورهم.. بسلامة أضطجع بل أيضاً أنام، لأنك أنت يا رب منفرداً في طمأنينة تسكنني» (مز 4: 7، 8).

2- شكر صاحب التسبيح: «أغني وأرنم. كذلك مجدي» (آية 1ب). القلب الثابت يغني ويرنم لله لأن إبليس عجز عن أن يزعزع ثقته بربِّه. كان شاول يطارد داود قبل أن يملك، وبعد أن تولى المُلك هدَّد الأعداء حدود بلاده، ولكن مطاردة شاول وهجوم الأعداء لم يرهباه لأنه كان يعلم أن كل أموره في يد الرب، فثبت قلبه وتهلل لسانه وترنمت شفتاه بتسابيح وأغاني روحية ترددت أصداؤها في مغارات الجبال التي اختبأ فيها، فعرف الجميع أن سلامه مستمد من الرب وليس من الظروف. وفي آثار داود سار بولس وسيلا اللذان لما أُلقيا في سجن فيلبي كان قلباهما يحلقان في سماء الفرح صلاةً وتسبيحاً حتى تزعزعت أساسات السجن. وكان هذا سبباً في خلاص ضابط السجن وأهل بيته (أع 16).

«كذلك مجدي» ترنمت شفتاه وترنم مجده، أي أفضل ما في أعماق نفسه، فتغنَّى بكل ما فكر فيه عقله، وكل ما عبَّر به لسانه، وكل ما جمَّله خياله. سبَّح بكل مجد الصورة التي خلقه الرب عليها، فهتف: «أحمدك من أجل أني قد امتزت عجباً. عجيبة هي أعمالك ونفسي تعرف ذلك يقيناً» (مز 139: 14). وسبَّح بكل مجد الحياة الجديدة التي منحها الله له، وكأنه يقول: يا رب، مجَّدتني ورفعتني من موت خطاياي، وأقمتني من قبر الخطية، وأعتقتني وأطلقتني إلى حرية مجد أولاد الله، فكل مجدي مستمد منك، وهو يخدمك ويرفع اسمك «أما أنت يا رب فترسٌ لي. مجدي ورافع رأسي» (مز 3: 3).

نعبس حين نرى الأمور من خلال عيني العالم، ولكننا نبتهج عندما نتطلع إلى أمورنا من وجهة نظر المسيح.

3- حماس صاحب التسبيح: «استيقظي أيتها الرباب والعود. أنا أستيقظ سحراً» (آية 2). كأن عوده وربابته رقدا لما مضى هو إلى فراشه لينام. ولما استيقظ مع الفجر ليناجي إلهه، أوقظهما معه ليشاركاه أنغامه وألحانه ليرفع للرب ذبيحة حمده، أي ثمر

شفاه معترفة باسمه (عب 13: 15) وهو يقول: «أما أنا فبالبر أنظر وجهك. أشبع إذا استيقظت بشبهك» (مز 17: 15). فما أبهج أن نبكر للرب بقلوبنا فيعطينا زاداً لنحتمل مسؤوليات يومنا ونواجه مشاكلنا.

4- مكان صاحب التسبيح: «أحمدك بين الشعوب يا رب، وأرنم لك بين الأمم» (آية 3). لم يكن اليهود يخالطون الوثنيين ولا يعاملون السامريين، لكن داود الممتلئ بالروح ارتفع بقلبه وفكره ليشكر الرب بين الجميع من يهود وأمم، ويعلن أمامهم فرحه بالرب. وقد أعلن المسيح لنا أن الله يحب العالم كله، وأنه لا يفرِّق بين إنسان وآخر بسبب جنسه «لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع. ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حر. ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح» (غل 3: 26-28). وقد أمرنا الرب أن نذهب إلى العالم أجمع ونكرز بالإنجيل للخليقة كلها. وعلينا أن نسلك بهذه الروح الكرازية التي تتخطى حواجز الجنس واللون واللغة. وما أجمل أن يجتمع الإخوة معاً لأنه «هناك أمر الرب بالبركة: حياة إلى الأبد». (مز 133: 3).

5- دوافع صاحب التسبيح: «لأن رحمتك قد عظمت فوق السموات، وإلى الغمام حقك» (آية 4). في زمن الخروج ظهرت رحمة الله في عمود السحاب الذي سار أمام شعبه ليهديهم ويحميهم من حرارة الشمس (خر 13: 21)، وعندما تابعهم أعداؤهم انتقل عامود السحاب من أمامهم ووقف وراءهم ليحميهم من العدو (خر 14: 19). وفي أيام يشوع عظمت رحمته العالية وحقه الرفيع، فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل (يش 10: 13). وأحاط الرب المرنم بالرحمة والحق فاندفع يسبح الرب. كان يعرف أن هناك أجرة يستحقها، وأن هناك هبة لا يستحقها، فأجرة الخطية هي موت، أما هبة الله فهي حياة أبدية في المسيح (رو 6: 23). وهو محتاج إلى الرحمة لأنه يستحق الهلاك، فعظمت الرحمة فوق السموات وسترت شروره وآثامه، وغطَّته وهو يحتمي بها من الموت كما احتمى الابن الضال في أحضان محبة أبيه وغفرانه (لو 15: 20). ولأن العدل الإلهي لا بد أن يستوفي حقه فقد ارتفع عالياً واضحاً إلى الغمام، فتغنَّى المرنم به لأنه رآه علامة ميثاق في قوس قزح في السحاب (تك 9: 13)، ثم رآه في المطر الذي ينزل ليروي الأرض فتُنبت غذاءً للإنسان والطير والحيوان. حقاً «الرحمة والحق التقيا. البر والسلام تلاثما» (مز 85: 10).

6- تواضع صاحب التسبيح: «ارتفع اللهم على السموات، وليرتفع على كل الأرض مجدك» (آية 5). شعر المرنم بضآلة تسبيحه وتمجيده للرب، فهو السيد الجالس على العرش العالي المرتفع، ترنم له جيوش الملائكة: «قدوس قدوس قدوس رب الجنود، مجده ملء كل الأرض» (إش 6: 1، 3). ولكن أكثر البشر لا يشعرون، ويحتاجون أن يسمعوا أمر الرب: «ادخل إلى الصخرة واختبئ في التراب من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته. توضع عينا تشامخ الإنسان، وتُخفض رفعة الناس ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم» (إش 2: 10، 11).. ومهما عظُم تسبيح المؤمن فهو لا يتناسب مع جلال الرب وعظمته، فيناشد الله المرتفع أن يرتفع أكثر على السموات، ويعلو مجده على كل الأرض، ويملك على قلوب المؤمنين وحياتهم، ويعرفه الكبير والصغير، وتجثو لاسمه كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض، ويعترف كل لسان بسلطانه غير المحدود وملكه غير المتناهي، فهو رب الماضي والحاضر والآتي.

7-أمل صاحب التسبيح: «لكي ينجو أحباؤك، خلِّص بيمينك واستجب لي» (آية6). يأمل المرنم أن تمتدَّ يد الله الملك العظيم إليه بالاستجابة فينجو لأنه حبيب الرب ولأنه يحب الرب. لقد طلب أن يرتفع الرب وحقه فوق الجميع، فينحني أمامه كل أعدائه، وينجو أحباؤه المحتمون بظل جناحيه، ويخلص كل من يدعو باسمه. ومن سماء قدسه يميل الرب أذنه ويستجيب. وما أعظم الخلاص بيمين الرب الصانعة ببأس لأولاده بشفاء الجسد وعتق الروح من أسر الخطية والذنوب والهلاك «أعلى أحد بينكم مشقات؟ فليصلِّ. أمسرور أحد؟ فليرتل.. صلوا بعضكم لأجل بعض لكي تُشفوا. طلبة البار تقتدر كثيراً في فعلها» (يع 5: 13-16).

ثانياً _ تحقيق المواعيد رغم الصعوبة
(آيات 7-13)

1- مواعيد تحقَّقت في الماضي: «الله تكلم بقدسه. أبتهج، أقسم شكيم، وأقيس وادي سكوت. لي جلعاد، لي منسى. أفرايم خوذة رأسي. يهوذا صولجاني» (آيتا 7، 8) يتحدث المرنم عن معاملات الله السابقة مع يشوع حين شقَّ نهر الأردن فعبر الشعب واستولوا على أراضي الشرق: سكوت وجلعاد (عجلون) ومنسى، وأراضي الغرب: شكيم (نابلس) وأفرايم ويهوذا، فقاسوها

وقسموها للأسباط. لقد تكلم الرب بقدسه، فتمَّ كل ما تكلم به، لأنه لا تسقط كلمة واحدة من كلامه الصالح. أنقذ المستضعفين في الأرض، وهدى التائهين في برية سيناء، وجعل من هؤلاء البدو الرحَّل قادة عسكريين يفتحون الأراضي دون أن يتلقوا أي تعليم حربي، وخلق منهم كهنة بغير أن يتلقوا تعليماً كهنوتياً، فقد كان هو قائدهم الأعظم ومعلمهم الصالح.

2- مواعيد تتحقق في الحاضر: «موآب مرحضتي. على أدوم أطرح نعلي. يا فلسطين، اهتفي عليَّ. من يقودني إلى المدينة الحصينة، من يهديني إلى أدوم؟» (آيتا 9، 10). واجه المرنم ثلاثة أعداء هاجموه، أولهم موآب، وكان يرى بعين الإيمان نصرته عليها فيجعل منها مرحضة يعلو فوقها كمن يغسل أقدامه من عناء مشوار طويل لإخضاعها واستعبادها. وكانت أدوم ثاني هؤلاء الأعداء، وقد رأى المرنم نفسه يطرح نعله على أدوم، بمعنى أنه يمتلك أرضه ويسود عليه، تحقيقاً لقول الرب ليشوع: «كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيه» (يش 1: 3). أما العدو الثالث: فلسطين فقد رآها المرنم تهتف له دليل الخضوع والتبعيَّة. وحقق الرب لداود ما سبق أن توقعه بالإيمان، فيقول الوحي: «وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين وذللهم.. وضرب الموآبيين وقاسهم بالحبل.. وصار الموآبيون عبيدا لداود» (2صم 8: 1، 2، 14).

وكما كان لداود ثلاثة أعداء، يواجه المؤمن ثلاثة أعداء: الجسد والعالم وإبليس «لأن الجسد يشتهي ضد الروح، والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر» (غل 5: 17). وعلى المؤمن أن ينهض ليقاوم شهوة جسده المناقضة لمشيئة الله. أما العدو الثاني فهو العالم ومبادئه الزائفة وشهواته الزائلة، فيسمع المؤمنون روح الله يناديهم: «أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله؟ فمن أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله.. قاوموا إبليس فيهرب منكم» (يع 4: 4، 7). أما العدو الثالث فهو إبليس الذي يخدع الناس بكلامه الباطل محاولاً أن يضل، لو أمكن، المختارين أيضاً، مع أنه لا يملك إلا الاقتراح، ولا يلوي ذراع أحد لينفذ اقتراحه. فإذا انجذب المؤمن إلى اقتراح إبليس وانخدع به يرتكب الخطية، لأن الشهوة إن سكنت القلب تلد خطية. والخطية إذا كملت تنتج موتاً (يع 1: 14، 15). وإبليس «كان قتالاً للناس من البدء، ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق.. لأنه كذاب وأبو الكذاب» (يو 8: 44).

غير أن الرب الذي نصر شعبه في الماضي بقيادة موسى ويشوع، والذي أيَّد داود بقوته هو نفسه القادر أن يحفظنا غير عاثرين، ويلبسنا سلاحه الكامل لنثبت ضد مكايد إبليس وهجماته، فلا نشبه أهل هذا الدهر ولا نطبِّق مبادئهم. ومع أننا نحيا في العالم إلا أن العالم لا يحيا فينا. وعندها نتغير عن شكلنا بتجديد أذهاننا نختبر إرادة الله الصالحة المَرْضيَّة الكاملة، فنقدم حياتنا على مذبح التكريس الإلهي ذبيحة حية مقدسة (رو 12: 1، 2).

3- مواعيد ستتحقَّق في المستقبل: (آيات 11-13). يتطلع المرنم نحو المستقبل برجاء وثقة، ويحدِّث إلهه بأشواق قلبه.

(أ) تقييم سبب الهزيمة: «أليس أنت يا الله الذي رفضتنا، ولا تخرج يا الله مع جيوشنا؟» (آية 11). مع أن الماضي كان عامراً بالانتصارات إلا أنه كان يحوي هزائم. ويعترف المرنم أن الهزائم جاءت بسبب خطايا الشعب وابتعاده عن تعاليم إلهه، فرفض الرب شعبه ولم يخرج مع جيشه، فانكسروا. وعندما يفتخر المؤمن بقواه أو بتقواه الشخصية ينهزم، لأن الله لا يعود يسير بوجهه أمامه. وعندما يسأل إلهه عن السبب يأتيه الجواب: «اذكر من أين سقطت وتُب واعمل الأعمال الأولى، وإلا فإني آتيك عن قريب وأزحزح منارتك من مكانها إن لم تتُب» (رؤ 2: 5). وطالما كنا في العالم نحتاج إلى توبة مستمرة، وتطهير دائم من أفكار العالم، ورجوع إلى حضن الآب، فتأتينا أوقات الفرج من عنده.

(ب) إعلان الله كالمعتَمَد الوحيد: «أعطنا عوناً في الضيق، فباطل هو خلاص الإنسان» (آية12). لما ترك الشعب ربَّه تركه الرب فانهزم، لأنه وحده الملجأ، ومنه وحده العون والانتصار على الضيق. بدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً، فباطل هو خلاص الإنسان، من داخل نفسه أو من خارجها. «لا تتكلوا على الرؤساء ولا على ابن آدم حيث لا خلاص عنده. تخرج روحه فيعود إلى ترابه. في ذلك اليوم نفسه تهلك أفكاره» (مز 146: 3، 4) «في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يو 16: 33).

(ج) النصرة النهائية قادمة: «بالله نصنع ببأس وهو يدوس أعداءنا» (آية 13). اطمأنت نفس المرنم حينما رفع عينيه إلى أعلى من حيث يأتيه العون، فتأكد من النجاة «لا تخف لأني معك. لا تتلفَّت لأني إلهك. قد أيَّدتك وأعنتك وعضدتك بيمين بري» (إش 41: 10). فلنترك ما هو وراء ونمتد إلى ما هو قدام (في 3: 13) فيعظم انتصارنا بالذي أحبنا (رو 8: 37).

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالتَّاسِعُ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِدَاوُدَ. مَزْمُورٌ

1 يَا إِلَهَ تَسْبِيحِي، لاَ تَسْكُتْ، 2لأَنَّهُ قَدِ انْفَتَحَ عَلَيَّ فَمُ الشِّرِّيرِ وَفَمُ الْغِشِّ. تَكَلَّمُوا مَعِي بِلِسَانِ كَذِبٍ، 3بِكَلاَمِ بُغْضٍ أَحَاطُوا بِي، وَقَاتَلُونِي بِلاَ سَبَبٍ. 4بَدَلَ مَحَبَّتِي يُخَاصِمُونَنِي. أَمَّا أَنَا فَصَلاَةٌ. 5وَضَعُوا عَلَيَّ شَرّاً بَدَلَ خَيْرٍ، وَبُغْضاً بَدَلَ حُبِّي.

6فَأَقِمْ أَنْتَ عَلَيْهِ شِرِّيراً، وَلْيَقِفْ شَيْطَانٌ عَنْ يَمِينِهِ. 7إِذَا حُوكِمَ فَلْيَخْرُجْ مُذْنِباً، وَصَلاَتُهُ فَلْتَكُنْ خَطِيَّةً. 8لِتَكُنْ أَيَّامُهُ قَلِيلَةً، وَوَظِيفَتُهُ لِيَأْخُذْهَا آخَرُ. 9لِيَكُنْ بَنُوهُ أَيْتَاماً، وَامْرَأَتُهُ أَرْمَلَةً. 10لِيَتِهْ بَنُوهُ تَيَهَاناً، وَيَسْتَعْطُوا وَيَلْتَمِسُوا خُبْزاً مِنْ خِرَبِهِمْ. 11لِيَصْطَدِ الْمُرَابِي كُلَّ مَا لَهُ، وَلْيَنْهَبِ الْغُرَبَاءُ تَعَبَهُ. 12لاَ يَكُنْ لَهُ بَاسِطٌ رَحْمَةً، وَلاَ يَكُنْ مُتَرَأِّفٌ عَلَى يَتَامَاهُ. 13لِتَنْقَرِضْ ذُرِّيَّتُهُ. فِي الْجِيلِ الْقَادِمِ لِيُمْحَ اسْمُهُمْ. 14لِيُذْكَرْ إِثْمُ آبَائِهِ لَدَى الرَّبِّ، وَلاَ تُمْحَ خَطِيَّةُ أُمِّهِ. 15لِتَكُنْ أَمَامَ الرَّبِّ دَائِماً، وَلْيَقْرِضْ مِنَ الأَرْضِ ذِكْرَهُمْ. 16مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ أَنْ يَصْنَعَ رَحْمَةً، بَلْ طَرَدَ إِنْسَاناً مِسْكِيناً وَفَقِيراً وَالْمُنْسَحِقَ الْقَلْبِ لِيُمِيتَهُ. 17وَأَحَبَّ اللَّعْنَةَ فَأَتَتْهُ، وَلَمْ يُسَرَّ بِالْبَرَكَةِ فَتَبَاعَدَتْ عَنْهُ. 18وَلَبِسَ اللَّعْنَةَ مِثْلَ ثَوْبِهِ، فَدَخَلَتْ كَمِيَاهٍ فِي حَشَاهُ، وَكَزَيْتٍ فِي عِظَامِهِ. 19لِتَكُنْ لَهُ كَثَوْبٍ يَتَعَطَّفُ بِهِ، وَكَمِنْطَقَةٍ يَتَنَطَّقُ بِهَا دَائِماً. 20هَذِهِ أُجْرَةُ مُبْغِضِيَّ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، وَأُجْرَةُ الْمُتَكَلِّمِينَ شَرّاً عَلَى نَفْسِي.

21أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ السَّيِّدُ فَاصْنَعْ مَعِي مِنْ أَجْلِ اسْمِكَ. لأَنَّ رَحْمَتَكَ طَيِّبَةٌ نَجِّنِي. 22فَإِنِّي فَقِيرٌ وَمِسْكِينٌ أَنَا، وَقَلْبِي مَجْرُوحٌ فِي دَاخِلِي. 23كَظِلٍّ عِنْدَ مَيْلِهِ ذَهَبْتُ. انْتُفِضْتُ كَجَرَادَةٍ. 24رُكْبَتَايَ ارْتَعَشَتَا مِنَ الصَّوْمِ، وَلَحْمِي هُزِلَ عَنْ سِمَنٍ. 25وَأَنَا صِرْتُ عَاراً عِنْدَهُمْ. يَنْظُرُونَ إِلَيَّ وَيُنْغِضُونَ رُؤُوسَهُمْ.

26أَعِنِّي يَا رَبُّ إِلَهِي. خَلِّصْنِي حَسَبَ رَحْمَتِكَ. 27وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ هِيَ يَدُكَ. أَنْتَ يَا رَبُّ فَعَلْتَ هَذَا. 28أَمَّا هُمْ فَيَلْعَنُونَ وَأَمَّا أَنْتَ فَتُبَارِكُ. قَامُوا وَخَزُوا، أَمَّا عَبْدُكَ فَيَفْرَحُ. 29لِيَلْبَسْ خُصَمَائِي خَجَلاً، وَلْيَتَعَطَّفُوا بِخِزْيِهِمْ كَالرِّدَاءِ. 30أَحْمَدُ الرَّبَّ جِدّاً بِفَمِي، وَفِي وَسَطِ كَثِيرِينَ أُسَبِّحُهُ. 31لأَنَّهُ يَقُومُ عَنْ يَمِينِ الْمِسْكِينِ لِيُخَلِّصَهُ مِنَ الْقَاضِينَ عَلَى نَفْسِهِ.

وظيفته يأخذها آخر!

يشبه هذا المزمور مزموري 35 و69 في أنه شكوى للرب من الأعداء الكذابين المتآمرين القتلة، وفي طلب صبّ اللعنة عليهم، بعد أن ردّوا خير المرنم شراً وحبه بغضة. وقد اعتبرت الكنيسة مزمورنا مسيانياً (أي يتنبأ بمجيء المسيا) لأن الرسول بطرس اقتبس الآية الثامنة منه كنبوَّة عن يهوذا الإسخريوطي، فقال: «لأنه مكتوب في سفر المزامير: لتصر داره خراباً ولا يكن فيها ساكن، وليأخذ وظيفته آخر» (أع 1: 20).

وتشكل تمنيات اللعنة في آيات 6–20 مشكلة للمسيحي الذي يجب أن يحب أعداءه ويبارك لاعنيه ويُحسن إلى مبغضيه، ولذلك فسرها البعض بأنها كلمات اللعنة التي فاه بها أعداء المرنم ضده، ولو أن مفسرين آخرين قالوا إنها اللعنات التي صبَّها المرنم على أعدائه، الأمر الذي يتفق مع اقتباس بطرس المشار إليه بأنها نبوَّة عن تلميذ المسيح الخائن، وهي كلمات غضب البار المعلن على الشرير «إذ هو عادل عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً» (2تس 1: 6).. على أن البعض رأوا فيها نبوَّة عن مصير أعداء المرنم لأنه بريء محب و«صلاة». وبحسب روح العهد القديم الذي عاش فيه المرنم، والذي كانت شريعته «عين بعين وسن بسن» لم يرَ غضاضة في تمني الأذى لهم وطلب القصاص منهم.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – طلب المعونة الإلهية (آيات 1–5)

ثانياً – طلب اللعنة للعدو (آيات 6–20)

ثالثاً – سبب طلب المعونة الإلهية (آيات 21–27)
رابعاً – الاستجابة الإلهية (آيات 28–31)

أولاً ـطلب المعونة الإلهية
(آيات 1-5)

1 – طلبة من الإله المُسبَّح: «يا إله تسبيحي» (آية 1أ). رغم أن المرنم متعَب ونفسه مُرة من تقاول الأعداء عليه، إلا أن هذا لم يؤثر على ثقته بالرب ولا على علاقته بإلهه، حصنه في زمان الضيق، فناداه بالتسبيح الشاكر على البركات السابقة والآتية التي تخلِّص نفسه وتشفي جراحه «اشفني يا رب فأُشفى. خلِّصني فأُخلَّص، لأنك أنت تسبيحي» (إر 17: 14).

2- طلبة من الإله الساكت: «لا تسكت» (آية 1ب). بسبب شدَّة آلام المرنم شعر أن الوقت طال عليه والرب صامت لا يتدخل، فهاجت أفكاره داخله وارتفع ضجيج الأعداء خارجه، فصرخ يطلب تدخُّل الرب، ليتبدد مضايقوه وتنتهي مخاوفه. ولا شك أن الرب يجيبه بقوله: «هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك» (إش 49: 15). فلنصلِّ ونصبر له ونتوقع استجابته.

3- طلبة للنجاة من الكذب: «لأنه قد انفتح عليَّ فم الشرير وفم الغش. تكلموا معي بلسان كذب» (آية 2). انفتح فم الأعداء على المرنم ومعه بافتراءات فاقت احتماله، فنفد صبره، ووصف أعداءه بثلاث صفات: الشر، والغش، والكذب «فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم. الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يُخرج الصالحات. والإنسان الشرير من الكنز الشرير يُخرج الشرور. ولكن.. كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين» (مت 12: 34–36).

4- طلبة من قلب نقي: عندما فحص المرنم نفسه وجد ثلاث صفات صالحة:

(أ) **إنه بريء**: «بكلام بُغضٍ أحاطوا بي وقاتلوني بلا سبب» (آية 3). كل ما قالوه عنه من كلام كراهية وبغض، وكل حرب شنّوها عليه لم تكن بسبب شر ارتكبه. وهو لا يبرئ نفسه البراءة المطلقة، لكنه يعلن براءته مما ألصقوه به من اتهامات ظالمة، مثل اتهام الملك شاول لداود بأنه سيأخذ المملكة منه، مع أن الرب هو الذي اختار داود دون شاول ليملك، لأن قلب داود كان حسب قلب الرب (أع 13: 21). ولا بد أن ينقذ الله المؤمن المضطهَد بلا سبب، والرب يقول لنا: «طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة، من أجلي، كاذبين» (مت 5: 11). والعالم يبغض المؤمنين لأنه أبغض المسيح من قبلهم. ولو كانوا من العالم لأحبَّهم العالم (يو 15: 18، 19).

(ب) **إنه محب وهو صلاة**: «بدل محبتي يخاصمونني، أما أنا فصلاة. وضعوا عليَّ شراً بدل محبتي، وبغضاً بدل حبي» (آيتا 4، 5). وقد قيل: «أنا سلام، وحينما أتكلم فهُم للحرب» (مز 120: 7). قدم المرنم لأعدائه محبة وانتظر منهم مثلها، لكنهم خاصموه ورفضوا محبته، فلجأ إلى الصلاة واستجار بالرب، فوجد عنده العون، فصارت حياته بخوراً عطراً صاعداً أمام ساكن السماء لأنه قال: «أما أنا فالاقتراب إلى الله حسن لي. جعلتُ بالسيد الرب ملجأي لأخبر بكل صنائعك» (مز 73: 28). «أما أنا فلك صلاتي يا رب في وقت رضى. يا الله، بكثرة رحمتك استجب لي، بحق خلاصك» (مز 69: 13).

ثانياً- طلب اللعنة للعدو
(آيات 6-20)

في هذه الآيات يطلب المرنم معاملة الأعداء بمثل ما أرادوا أن يوقعوه فيه، ويتنبأ بما سيصيبهم من شر ليتجرعوا كأس المرارة التي أذاقوه إياها. حقاً «الشر يميت الشرير، ومبغضو الصديق يُعاقَبون» (مز 34: 20).

1 – طلب محاكمة العدو: «فأقِم أنت عليه شريراً، وليقف شيطان عن يمينه. إذا حوكم فليخرج مذنباً وصلاته فلتكن خطية» (آيتا 6، 7). يطلب المرنم من الرب أن يقيم على عدوه من هو أشر منه ليكون الانتقام من نفس نوع العمل. ويطلب أن يقف «شيطان» (أي خصم ومشتكٍ) عن يمينه يوجِّه له الاتهامات، ويقدم له المشورة الفاسدة المهلكة التي تفضح ذنبه. فإذا صلى لا تُقبل صلاته لأنها مكروهة عند الرب «ذبيحة الأشرار مكرهة الرب وصلاة المستقيمين مرضاته» (أم 15: 8).

2- ضياع وظيفة العدو: «لتكن أيامه قليلة، ووظيفته ليأخذها آخر» (آية 8). وهذا ما أصاب الملك شاول الذي عادى داود وكان يطلب أن يهلكه فهلك هو، وتولى داود المُلك. وهو ما أصاب يهوذا الخائن الشرير فأخذ مكانه آخر (أع 1: 20). وقد تعني قلة الأيام انعدام البركة، فيعمِّر الشرير طويلاً، ولكن ثمره يكون سيئاً وغير مرضي أمام الرب.

3- فقر عائلة العدو: «ليكن بنوه أيتاماً، وامرأته أرملة. ليته بنوه تيهاناً ويستعطوا، ويلتمسوا خبزاً من خربهم» (آيتا 9، 10). لأن الرب يقصر أيام الشرير ويميته يتيتَّم أطفاله وتترمّل زوجته، ويفقدون عائلهم فيعانون من العوز، يسكنون الخرب ويشتهون الخبز. وهذا ما لا يمكن أن يحدث للصديق فيقول: «كنت فتى وقد شخت ولم أرَ صدِّيقاً تُخلي عنه ولا ذرية له تلتمس خبزاً» (مز 37: 25).

4- إفلاس العدو: «ليصطد المرابي كل ماله، ولينهب الغرباء تعبه» (آية11). فيزرع بلا حصاد، ويزن فضة لغير خبز ويتعب لغير شبع، ويأكل وليس إلى الشبع، ويشرب ولا يرتوي، ويكتسي ولا يدفأ، ويأخذ أجرة لكيس منقوب (إش 55: 2 وحج 1: 6). يذهب تعبه وكده هباء وتغادره البركة وكل ما يجتنيه يذهب ثمره للمرابي والغريب.

5- ظلام مستقبل العدو: «لا يكن له باسط رحمة، ولا يكن مترأِّف على يتاماه. لتنقرض ذريته. في الجيل القادم ليُمح اسمهم. ليُذكَر إثم آبائه لدي الرب، ولا تُمحَ خطية أمه. لتكن أمام الرب دائماً، وليقرض من الأرض ذكرهم» (آيات 12–15). يأكل الآباء الحصرم فتضرس أسنان أبنائهم. اجتماعياً يترك الشرير وراءه سيرة سيئة، واقتصادياً يورث أولاده الديون، وصحياً يترك لهم الأمراض، فيؤثر على مستقبل أبنائه إذ يعيرهم معاصروهم. وحتى إن تاب الشرير بعد سنوات شر فيغفر الرب له، يظل الناس يعيِّرون نسله، لأن الله ينسى ذنوب التائب أما البشر فيذكرونها. لقد تاب اللص المصلوب، ودخل الفردوس، ولكن الناس ظلوا يعيِّرون أولاده وأحفاده بأن أباهم وجدَّهم لص مات مصلوباً!

6- حلول اللعنة بالعدو: «من أجل أنه لم يذكر أن يصنع رحمة، بل طرد إنساناً مسكيناً وفقيراً، والمنسحق القلب ليميته. وأحب اللعنة فأتته، ولم يُسرّ بالبركة فتباعدت عنه. ولبس اللعنة مثل ثوبه، فدخلت كمياه حشاه وكزيت عظامه. لتكن له كثوب يتعطَّف به، وكمنطقة يتنطَّق بها دائماً» (آيات 16–19). أنعم الرب على هذا الشرير وبسط له رحمة، ولكنه لم يرحم الفقير المتسوِّل بل طرده من على بابه وشيَّعه بكلمات مؤلمة سحقت قلبه حزناً حتى كاد يموت. وباركه الرب بنِعم الحياة الدنيا ولكنه أحب اللعنة وانحرف إلى الشر، فتباعدت البركة عنه، وأحاطت به اللعنة كثوب يرتديه نهاراً وليلاً، فدخلت إلى أحشائه كماء اللعنة لورم البطن وإسقاط الفخذ (عد 5: 22)، وتخللت اللعنة عظامه كالزيت، فصارت ضعيفة هشَّة. ويرمز الماء والزيت عادة للبركة، ولكن هذه البركة صارت لعنة للشرير الذي يطرد الفقير، فيقول الرب له: «بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا. فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية» (مت 25: 45، 46).

7- دينونة العدو: «هذه أجرة مبغضيَّ من عند الرب، وأجرة المتكلمين شراً على نفسي» (آية 20). الرب رحيم وبار ومترأف على الجميع، يطيل أناته على الخاطئ ليتوب. «يتأنى علينا، وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة» (2بط 3: 9). أما من يعاند فإنه يذخر لنفسه غضباً ودينونة مخيفة كأجرة لعدم توبته. ويحسب المرنم عدوَّه إنساناً يرفض التوبة، فينال أجرة رفضه.

ثالثاً ـ سبب طلب المعونة الإلهية
(آيات 21-27)

يبدأ هذا الجزء بكلمة «أما» تعبيراً عن تغيير موقف وعن اختلاف فكر. فبعد أن امتلأت نفس المرنم من مرارة رثاء الذات نتيجة ذكر سلوك الأشرار تجاهه، حوَّل نظره إلى مصدر عونه وقوته. وبعد أن تذكر ظلم الأعداء اتجه إلى رحمة الله الدائمة يطلب منه الحماية «من يقوم لي على المسيئين؟ من يقف لي ضد فعلة الإثم؟ لولا أن الرب معيني لسكنت نفسي سريعاً أرض السكوت» (مز 94: 16، 17). ويذكر المرنم أربعة أسباب لطلب معونة الله.

1 – لأجل اسم الرب: «أما أنت يا رب السيد فاصنع معي من أجل اسمك» (آية 21أ). عندما أشرق نور الرب على المرنم بنعمته الفعالة توقف عن طلب اللعنة على العدو، وهُرع إلى اسم الرب البرج الحصين الذي يركض إليه الصديق ويتمنَّع (أم 18: 10) فهو الخالق المعتني، حافظ النفس من السقوط والهلاك. حقاً «إن كان الله معنا فمن علينا؟» (رو 8: 31). والاسم يصف الشخصية، وشخصية الرب محبة وقوية وقدوسة وأمينة، أما المؤمن فضعيف، ويعلم أنه لا يستحق فضل الرب، فيحتمي في الاسم الكريم الذي دُعي عليه، ويقول: «ليس لنا يا رب ليس لنا، لكن لاسمك أعط مجداً. من أجل رحمتك من أجل أمانتك» (مز 115: 1).

2 – لإعلان رحمة الرب: «لأن رحمتك طيبة نجِّني» (آية 21ب). لا يستحق الإنسان نجاة، ولكن رحمة الله الطيبة تنجيه. «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب. طوبى للرجل المتوكل عليه» (مز 34: 8). «إذ قلت قد زلَّت قدمي فرحمتك يا رب تعضدني» (مز 94: 18).

3 – لأن المرنم عاجز: «فإني فقير ومسكين أنا، وقلبي مجروح في داخلي. كظلٍّ عند ميله ذهبتُ. انتفضتُ كجرادة. ركبتاي ارتعشتا من الصوم، ولحمي هزل عن سِمن، وأنا صرتُ عاراً عندهم. ينظرون إليَّ ويُنغضون رؤوسهم» (آيات 22–25). طرد الشرير مساكين وفقراء، وأراد أن يُميت منكسري القلوب (آية 16). ولعل المرنم كان أحد هؤلاء، فصار كظل يميل قرب غروب الشمس وقد أشرف على الاختفاء، وأخذ ينتفض وكأن الجراد التهم خُضرته، أو كأنه جرادة تنتفض لتطير. وبسبب خوفه امتنع عن الطعام فارتعشت ركبتاه ونقص وزنه، وصار موضوع السخرية عند أعدائه. ودفعه هذا ليطلب عون الله.

4 – لإعلان قوة الرب: «أعنّي يا رب إلهي. خلِّصني حسب رحمتك، وليعلموا أن هذه هي يدك. أنت يا رب فعلت هذا» (آيتا 26، 27). لا بد أن يسرع الرب بالمعونة والنجاة. «هذا المسكين صرخ والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلَّصه.. كثيرون يرون ويخافون ويتوكلون على الرب» (مز 34: 6 و40: 3). وهكذا يعلن الرب للجميع أنه مخلِّص شعبه. ويتكرر ما قالته شعوب الأرض عندما أخرج شعبه من أرض العبودية إلى أرض الرحب. «ليبتهج ويفرح بك جميع طالبيك. ليقل أبداً محبو خلاصك يتعظم الرب» (مز 40: 16).

رابعاً - الاستجابة الإلهية
(آيات 28-31)

يختم المرنم مزموره بذكر ثلاث مفارقات بين ما كان فيه وما وصل إليه:

1 – البركة بعد اللعنة: «أما هم فيلعنون، وأما أنت فتبارك» (آية 28أ). وهل تصيب اللعنة من باركه الرب؟ قال الله لإبراهيم: «أبارك مباركيك ولاعنك ألعنه» (تك 12: 3). ولم يستطع بلعام أن يلعن شعب الرب لأن الرب بارك شعبه، وقال: «لا تلعن الشعب لأنه مبارك» (عد 22: 12).

2 – الفرح بعد الخزي: «قاموا وخزوا. أما عبدك فيفرح» (آية 28ب). كم كان خزي ضابط سجن فيلبي وهو يرى نفسه سجين خوفه، بينما بولس وسيلا منطلقين في الحرية، وقد ظهر هذا في صرخته: «يا سيديَّ، ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلُص؟» (أع 16: 30). أما هما فكانا يسبحان ويصليان. وقال بولس لأهل فيلبي: «افرحوا في الرب كل حين، وأقول أيضاً افرحوا» (في 4: 4).

3 – الخلاص بعد الخطر: «ليلبس خُصمائي خجلاً، وليتعطَّفوا بخزيهم كالرداء. أحمد الرب جداً بفمي، وفي وسط كثيرين أسبحه، لأنه يقوم عن يمين المسكين ليخلِّصه من القاضين على نفسه» (آيات 29–31). قصد أعداء المرنم له الشر، أما الرب فقصد بشرِّهم خيراً (تك 50: 20) فخزي أعداؤه، وانطلق هو يحمد ويسبح، لأن الله خلَّصه وهو قريب من الموت! وما أعظم المفارقة بين الشرير الذي يقف شيطان على يمينه (آية 6) والمسكين الذي يقف الرب عن يمينه يعينه وينقذه.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالْعَاشِرُ

لِدَاوُدَ. مَزْمُورٌ

1 قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: «اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ». 2يُرْسِلُ الرَّبُّ قَضِيبَ عِزِّكَ مِنْ صِهْيَوْنَ. تَسَلَّطْ فِي وَسَطِ أَعْدَائِكَ. 3شَعْبُكَ مُنْتَدَبٌ فِي يَوْمِ قُوَّتِكَ، فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ، مِنْ رَحِمِ الْفَجْرِ. لَكَ طَلُّ حَدَاثَتِكَ.

4أَقْسَمَ الرَّبُّ وَلَنْ يَنْدَمَ: «أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ». 5الرَّبُّ عَنْ يَمِينِكَ يُحَطِّمُ فِي يَوْمِ رِجْزِهِ مُلُوكاً. 6يَدِينُ بَيْنَ الأُمَمِ. مَلأَ جُثَثاً أَرْضاً وَاسِعَةً. سَحَقَ رُؤُوسَهَا. 7مِنَ النَّهْرِ يَشْرَبُ فِي الطَّرِيقِ، لِذَلِكَ يَرْفَعُ الرَّأْسَ.

المسيح الملك والكاهن

هذا المزمور من أكثر المزامير المقتبسَة في العهد الجديد، فقد اقتبس منه المسيح في مت 22: 44 (راجع مر 12: 36 ولو 20: 42، 43)، واقتبس معناه في مت 26: 64 عندما قال: «مِن الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة». واقتبس منه الرسول بطرس في عظته يوم الخمسين (أع 2: 34، 35) واقتُبس في عب 1: 13 لبيان أن المسيح أعظم من الملائكة. وتكررت فكرة جلوس المسيح عن يمين الآب في مر 16: 19 وأع 5: 31 و7: 55 ورو 8: 34 وأف 1: 20 وكو 3: 1 وعب 1: 3 و8: 1 و10: 12 و12: 2 و1بط 3: 22. وتكرَّرت فكرة مُلكه والخضوع تحت قدميه في 1كو 15: 24–27 وعب 10: 13 و1بط 3: 22. وتكررت فكرة تفوُّق كهنوته عن الكهنوت اللاوي، وأن هذا الملكوت على رتبة ملكي صادق في عب 5: 5–7 و6: 20 و7: 17–19.

إن الأوصاف الواردة في هذا المزمور لا تنطبق إلا على المسيح، فهو وحده ربُّ داود، وهو الوحيد المُقام عن يمين الله، وهو الوحيد الذي يتسلط على أعدائه إلى الأبد، وهو الوحيد الذي جمع الكهنوت والمُلك معاً. ولقد رفَّع الله الآب المسيح بعد أن رفضه الناس، فقال بطرس والرسل لرؤساء اليهود: «هذا رفَّعه الله بيمينه رئيساً ومخلِّصاً، ليعطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا» (أع 5: 31). ولا عجب فهو صاحب القربان الكفاري المقبول «فبعدما قدَّم عن الخطايا ذبيحةً واحدةً جلس إلى الأبد عن يمين الله، منتظراً بعد ذلك حتى توضع أعداؤه موطئاً لقدميه» (عب 10: 12، 13). لقد جلس عن يمين الرب لأنه الشفيع الكامل الذي لا يحتاج إلى من يشفع فيه، فهو «الذي مات، بل بالحري قام أيضاً، الذي هو أيضاً عن يمين الله، الذي أيضاً يشفع فينا» (رو 8: 34).

اقتبس المسيح الآية الأولى من هذا المزمور ليبرهن أنه المسيا، وهي: «قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» وذلك في الأسبوع الأخير، بعد أن وجَّه شيوخ اليهود إليه أربعة أسئلة:

(1) سألوه سؤالاً **شخصياً**: عندما طهَّر الهيكل من الباعة والصيارفة سألوه: «بأي سلطان تفعل هذا؟ ومن أعطاك هذا السلطان؟» فأجاب أن يوحنا المعمدان، الذي كان كل اليهود يقبلونه كنبي شهد لسلطان المسيح السماوي (مت 21: 23–27).

(2) وسألوه سؤالاً **سياسياً**: «أيجوز أن تُعطى جزية لقيصر أم لا؟» فأجاب أن الجزية يجب أن تُدفع، لأننا يجب أن نعطي ما لقيصر لقيصر، وما لله لله، فنقوم بواجباتنا المدنية، وواجباتنا الروحية (مت 22: 17–21).

(3) وسألوه سؤالاً **عقائدياً**: عن سيدة تزوجت سبع مرات، ومات أزواجها السبعة، وآخر الكل ماتت هي. فلأي زوج من السبعة تكون زوجةً في القيامة؟ فأجاب أنهم في القيامة لا يُزوِّجون ولا يتزوَّجون، بل يكونون كملائكة الله. وكان سائلوه من طائفة الصدوقيين الذين لا يؤمنون بالقيامة، فأكد المسيح لهم أن القيامة حقيقة، لأن الله يقول إنه إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وهو ليس إله أموات بل إله أحياء (مت 22: 23–33).

(4) وأخيراً سألوه سؤالاً **روحياً**: أية وصية هي العظمى في الناموس؟ فأجاب: «تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك» والوصية الثانية مثلها «تحب قريبك كنفسك» (مت 22: 34–40).

وبعد إجابته على الأسئلة الأربعة وجَّه هو إليهم سؤالاً: «ماذا تظنون في المسيح؟ ابن من هو؟» فأجابوا: «ابن داود» (مت 22: 42)، وهذا ما تقوله نبوات التوراة. فاقتبس فاتحة مزمور 110، وسألهم: «فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلاً: قال الرب لربي: اجلس

عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك؟ فإن كان داود يدعوه رباً، فكيف يكون ابنه؟».. وصمت شيوخ اليهود ولم يقدروا أن يجاوبوه، لأن الإجابة الوحيدة هي أن المسيح ربي هو ابن داود بالجسد، وفي الوقت نفسه هو رب داود بالروح.

ويؤكد سؤال المسيح أن المزامير من وحي الروح القدس، ويوضّح أن مضمون مز 110 لا يخصُّ ملكاً ولا كاهناً ولا نبياً من أصل أرضي، بل موضوعه المسيا المخلِّص المنتظَر الآتي من السماء، ولذلك هو أعظم من داود. وكان ملك اليهود من سبط يهوذا، ومن نسل داود، بينما كان كهنتهم من سبط لاوي ومن نسل هارون.. ومِن صمت شيوخ اليهود عن الإجابة على سؤال المسيح نستدل أن ما قاله المسيح هو التفسير الحقيقي للمزمور، والمقبول من كل طوائف اليهود. وقد اعتاد المسيح أن يثير سامعيه ليبحثوا الكتب المقدسة، فقال لهم مرة: «فتِّشوا الكتب، لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية، وهي التي تشهد لي» (يو 5: 39). وهي نصيحة لنا كلنا، لندرس الكتاب المقدس بأنفسنا، ونطلب من الذي أوحى به أن يفسِّر لنا معانيه، وأن يكشف لنا المستتر من كنوزه.

ونحن اليوم نقدر أن نقول بيقين إن المسيح الذي تجسَّد إنساناً ووُلد من العذراء القديسة مريم هو ابن داود حسب الجسد، ولكنه في الوقت نفسه هو كلمة الله بحسب الروح. وما ورد في التوراة من نبوّات عن تجسُّده وعن ألوهيته وعن التثليث الإلهي ورد كامناً، ولكنه جاء في الإنجيل معلَناً، فقد قال المسيح: «أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل» فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أن يقتلوه، لأنه لم ينقض السبت فقط، بل قال أيضاً إن الله أبوه، معادلاً نفسه بالله (يو 5: 17، 18). وقال المسيح أيضاً: «الحقَّ الحق أقول لكم: قبل أن يكون إبراهيم أنا كائنٌ» فأراد اليهود أن يرجموه لأنه أطلق على نفسه لقب «الكائن» أي الله الدائم الوجود (يو 8: 58، 59). وقيل عنه إنه عندما عادل نفسه بالله لم يكن مختلساً ما ليس من حقه (في 2: 6). وقيل: «عظيمٌ هو سرُّ التقوى: الله ظهر في الجسد» (1تي 3: 16). وقيل: «عمل شدة قوة الله الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات، وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة، وكل اسم يُسمَّى، ليس في هذا الدهر فقط، بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإياه جعل رأساً فوق كل شيء.. إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا. وأما أنه صعد فما هو إلا أنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى. الذي نزل هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السماوات لكي يملأ الكل» (أف 1: 19–22 و4: 8–10).. «فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السماوات: يسوعُ ابن الله، فلنتمسَّك بالإقرار، لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا، بل مُجرَّبٌ في كل شيء مثلُنا، بلا خطية. فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة، ونجد نعمة عوناً في حينه» (عب 4: 14–16).. «الذي هو في يمين الله! إذ قد مضى إلى السماء، وملائكةٌ وسلاطينُ وقواتٌ مُخضَعةٌ له» (1بط 3: 22). وهذا يعني أن الرب قال لربي بعد أن أكمل عمل الفداء أن يجلس عن يمينه في مكان السلطة، حتى تجثو للمسيح كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن المسيح هو رب (في 2: 10، 11).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – المسيح الملك (آيات 1–3)

ثانياً – المسيح الكاهن (آيات 4–7)

أولاً ـ المسيح الملك

(آيات 1-3)

1 - إعلان ملكوت المسيح: «قال الرب لربي» (آية 1أ). في فاتحة المزمور يعلن داود بوحي الروح القدس أن هناك حواراً بين الأقانيم الثلاثة في اللاهوت الأقدس، ولا عجب، فإنه «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله» (يو 1: 1). ويقول داود إن المسيح الملك ربُّه، فإن الرب يطلب من ربي المسيا، الذي هو الكلمة، ومسيح الرب، أن يجلس عن يمينه. وقد سمعنا الله الابن يقول في المزمور الثاني: «إني أخبر من جهة قضاء الرب. قال لي: أنت ابني. أنا اليوم ولدتك.. قبِّلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق. طوبى لجميع المتكلين عليه» (مز 2: 7، 12). وهذا ما عبَّر عنه يشوع لرئيس جند الرب عندما جاء إليه «فسقط يشوع على وجهه إلى الأرض وسجد وقال له: بماذا يكلم سيدي عبده؟» فأجابه: «اخلع نعلك من رِجلك لأن المكان الذي أنت واقفٌ عليه مقدس» (يش 5: 14، 15). فلنكن مُرهَفي السمع مثل صموئيل الذي عندما دعاه الرب قال: «تكلَّم يا رب لأن عبدك سامع» (1صم 3: 10) ولنطِع ما قالته العذراء القديسة مريم لأهل عرس قانا الجليل: «مهما قال لكم فافعلوه» (يو 2: 5) ولنقل للمسيح مع شاول الطرسوسي: «ماذا تريد يا رب أن أفعل؟» (أع 9: 6). ولتمتلئ نفوسنا بالثقة في الرب الملك كلما هاجمتنا عواصف الحياة وأمواجها، فسيجيئنا الرب

الملك ليسكّنها فتخضع الأمواج تحت قدميه، كما سبق أن جاء لتلاميذه ماشياً على أمواج مياه بحيرة طبرية التي كانت موشكةً أن تبتلعهم، فهدّأها وأنقذهم (مر 6: 45–53).

2 - سموّ ملكوت المسيح: «اجلِس عن يميني» (آية 1ب). الجلوس عن اليمين هو مكان الشرف والعظمة، كما أنه يرمز إلى إكمال العمل، فقد أرسل الرب كلمته المسيح إلى عالمنا ليقوم بعمل الفداء، ولما أكمله قال: «أنا مجَّدتُك على الأرض. العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته. والآن مجِّدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم» (يو 17: 4، 5)، فاستحقَّ أن يجلس عن يمين العظمة في الأعالي، ورفَّعه الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسمه كل ركبة ممَّن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض (في 2: 9). والمساواة بين «ربي وربي» واضحة بصورة كاملة في الإنجيل، فالمسيا أعظم من داود، لأن داود يدعوه «ربي». وداود لم يصعد إلى السماوات، أما المسيح فقد ارتفع إلى السماء (مر 16: 19). وهو أعظم من الملائكة لأن الله لم يقُل لأحدٍ من الملائكة قَطّ: «اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» (عب 1: 13).

الرب وربي على عرش واحد، فقد قال المسيح: «أنا والآب واحد» (يو 10: 30). واحد فقط هو الذي يساوي الآب في الجوهر، هو الإله الحق من الإله الحق، نور من نور. قال عنه الرسول بطرس يوم الخمسين لشيوخ اليهود: «يسوع هذا أقامه الله، ونحن جميعاً شهود لذلك. وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب، سكب هذا الذي أنتم تبصرونه وتسمعونه. لأن داود لم يصعد إلى السماوات، وهو نفسه يقول: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا، الذي صلبتموه أنتم، رباً ومسيحاً» (أع 2: 32–36). قال الرب لربي اجلس عن يميني، على ذات عرشي، مساوياً لي، بعد أن أكملتَ عمل الفداء.. ولا يمكن أن يُطلب من أي مخلوقٍ بشري، مهما بلغ من القداسة أو السلطان أو معرفة أسرار ملكوت السماوات، أن يجلس عن يمين الرب، لأن اليمين مكان السلطة، والبشري مخلوق من تراب.

3 - انتصار ملكوت المسيح: (آيتا 1ج، 2).

(أ) خضوع الأعداء للمسيح: «حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» (آية 1ج). من الغريب أن تكون هناك مقاومة مستمرة للمسيح الملك، يصفها مز 2 بأن ملوك الأرض ورؤساءها تآمروا عليه، ولكن الآب يقول له: «اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك، وأقاصي الأرض مُلكاً لك» (مز 2: 7، 8). «لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه» (1كو 15: 25). ويصف سفر الرؤيا هذه المعركة بقوله عن أعداء المسيح: «هؤلاء سيحاربون الحمل، والحمل يغلبهم لأنه رب الأرباب وملك الملوك، والذين معه مدعوّون ومختارون ومؤمنون» (رؤ 17: 14). فلا بد أن يوضع الأعداء موطئاً لقدميه، علامة الهزيمة الكاملة، كما قيل في الرؤيا «وهو متسربلٌ بثوبٍ مغموس بدم، ويُدعى اسمه كلمة الله.. ومن فمه يخرج سيفٌ ماضٍ لكي يضرب به الأمم، وهو سيرعاهم بعصاً من حديد» (رؤ 19: 13، 15). ولكننا لا نرى الكل تحت قدمي المسيح بعد، لأن النهاية لم تأتِ بعد. وزمن السماح هذا فرصةٌ للبعيدين ليتوبوا، وللثائرين ليتعقَّلوا ويخضعوا، لأن غِنى لطف الله وإمهاله وطول أناته يمكن أن يقود البعض للتوبة (رو 2: 4).

(ب) مُلك الرب المسيح: «يرسل الرب قضيب عزِّك من صهيون» (آية 2أ). قضيب العزّ هو صولجان المُلك الذي يرمز إلى السلطة والقدرة، لحماية الرعايا، ولعقاب الثائرين «فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين» (إش 2: 4). وقد أرسل المسيح صولجان قوته ونعمته من أورشليم، عندما أوصى تلاميذه أن لا يبرحوها حتى يتعمَّدوا فيها بالروح القدس، فينالون القوة ويكونون له شهوداً فيها وفي اليهودية وفي السامرة وإلى أقصى الأرض (أع 1: 4–8) وهذا ما حدث فعلاً يوم الخمسين (أع 2: 1–4). ويذكِّرنا صولجان المسيح بعصا موسى التي شقَّت البحر الأحمر ليعبر مع الشعب، وأخرجت الماء من الصخرة (خر 14: 21 و17: 5). والمسيح هو الذي يشقُّ لشعبه طريقاً في البحر، ويرويهم من نهر نِعَمه. ويذكِّرنا صولجان المسيح بعصا هارون التي أفرخت وأعطت أوراقاً خضراء (عدد 17: 8)، فقد تجسَّد المسيح كلمة الله وجاءنا إنساناً، فلم يؤمن به أصحاب النظرة السطحية، وكان في نظرهم مثل عصا هارون اليابسة، لأن «إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح، الذي هو صورة الله» (2كو 4: 4). ولكن الذين اقتربوا منه، وفتح الله بصيرتهم ليؤمنوا به، رأوه المخلِّص والفادي، وقد برهنت لهم شخصيته وتعاليمه ومعجزاته أنه كلمة الله الذي يحمل كل سلطان الله. ويذكِّرنا صولجان المسيح بالصولجان الذهبي الذي مدَّه الملك أحشويروش للملكة أستير فأعطاها حقَّ التقدُّم إلى حضرته الملكية، فالمسيح هو صاحب صولجان القوة والنعمة الذي قال: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو 14: 6) ففتح لنا باب المثول أمام عرش النعمة، وإلى السماء. هو الذي يفتح ولا أحد يغلق، وهو الذي يغلق ولا أحد يفتح (رؤ 3: 7). هو صاحب السلطان الملكي المنتصر.

(ج) سلطة الرب المسيح: «تسلَّط في وسط أعدائك» (آية 2ب). ربما كانت هذه كلمات الرب لربي، أو كلمات الشعب لربي، أو كلمات دعاء صاحب المزمور لربي. وهي تحمل وعداً بتأكيد الغلبة. فمع أن الأعداء يحيطون به من كل جانب، إلا أنه يجب أن يتولى ويحكم، فيقطف ثمار نصرته. ومع أن أعداءه موجودون إلا أن النصرة هي للمسيح الذي خرج غالباً ولكي يغلب.

4 - جيش المسيح الملك: (آية 3).

(أ) جيش متطوِّعين مقدَّسين: «شعبك مُنتدَبٌ في يوم قوَّتك، في زينة مقدسة» (آية 3أ). سيربح المسيح معركته في يوم قوته بشعبه المنتدَبين المتطوِّعين المزيَّنين بالقداسة، الذين لا يجبرهم ولا يُكرههم أحد لينضموا إليه وهو يحارب معركته المقدسة ضد الشيطان، لأن روح الله يعمل فيهم، كما عمل في بني إسرائيل فتجنَّدوا في جيش دبورة وباراق، فترنَّما عنهم قائلَيْن: «لأجل قيادة القواد في إسرائيل، لأجل انتداب الشعب، باركوا الرب» (قض 5: 2). وهكذا عمل روح الله في إشعياء النبي، الذي سمع دعوة سماوية عامة تنادي: «مَن أُرسل، ومن يذهب من أجلنا؟» فأجاب متطوِّعاً: «هئنذا أرسلني» (إش 6: 8). وهكذا فعل بولس وهو يقول لأهل كنيسة فيلبي: «إن كنتُ أنسكب أيضاً على ذبيحة إيمانكم وخدمته، أُسرُّ وأفرح معكم أجمعين» (في 2: 17). وهذا ما يطالبنا به الوحي في القول: «فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مَرْضيَّة عند الله.. غير متكاسلين في الاجتهاد، حارين في الروح، عابدين الرب» (رو 12: 1، 11). فتعالوا نعمل بالنصيحة الرسولية: «البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس.. احملوا سلاح الله الكامل.. وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذي هو كلمة الله» (أف 6: 11-17). ولـيكن الله سيد حياتنا المطاع، ورب عائلتنا المعبود، وقائدنا في كل عملٍ يكلّفنا به.

(ب) جيش سماويين منتشرين: «من رحم الفجر لك طلّ حداثتك» (آية 3ب). رحم الفجر هو أجمل ساعات النهار، ساعة يولد النور إيذاناً بانتهاء الليل وانقشاع الظلام، فقد قال المسيح: «أنا قد جئت نوراً إلى العالم حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة» (يو 12: 46). وشعب الرب هم أبناء النور المولودون ثانيةً من الروح القدس، فيكونون كالندى الذي ينزل وقت الفجر، فيُقال عنهم: «هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الإخوة معاً.. مثل ندى حرمون النازل على جبل صهيون، لأنه هناك أمر الرب بالبركة: حياة إلى الأبد» (مز 133: 1، 3).. لقد أرسل الرب صولجان قوته، الذي هو إنجيل الخلاص، الذي به أنار لنا الحياة وأنار لنا الخلود، فأقبل المؤمنون يتجنَّدون في جيش الرب وهم شباب فتيٌّ كثيرو العدد، مثل ندى الفجر المنعش الذي ينتشر من السماء بوفرة وبهدوء وقت الفجر، فيروي ظمأ نفوس عطشى إلى كلمة الرب وإلى خلاصه، ويفك أسرى الشيطان من قيود خطاياهم. إنهم يندفعون متطوّعين فور سماعهم النداء الإلهي، فيصطفّون ليحاربوا معركة الرب ضد أعدائه الأشرار، ويأسرونهم إلى طاعته، مستهينين بالصعوبة وبالموت لأنهم لم يحبّوا حياتهم حتى الموت (قض 5: 18 ورؤ 12: 11).

فيا أيها المؤمنون الأنقياء، يا مَن وُلدتم من السماء في وقت الفجر، اروا الأرض من حولكم. أنتم جيشٌ مبارك للرب، فانتشروا متطوِّعين مقدَّسين، لتقدِّموا للعالم خلاص المسيح الملك وبركته، فأنتم «جنس مختار، وكهنوت ملوكي، أمة مقدسة، شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب» (1بط 2: 9).

ثانياً ـ المسيح الكاهن
(آيات 4-7)

الكاهن هو الذي يكلّم الله عن الناس، ويكلم الناس عن الله، فهو يعلن للبشر كلام الله، ويشفع فيهم أمام الله. والمسيح كلمة الله هو الكلمة وهو المتكلم، وهو الرسالة وهو الرسول، وهو النبي وهو موضوع النبوات. في المسيح، الكلمة، عرفنا الله المعرفة الكاملة، فقد قال: «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو 14: 9). منذ القديم أعلن الله نفسه للبشر في الطبيعة التي تحدِّث بمجده، وفي الفلَك الذي يُخبر بعمل يديه (مز 19: 1)، وفي الأنبياء بأنواعٍ وطرقٍ كثيرة (عب 1: 1). أما إعلانه الأكمل فهو في كلمته الذي جاءنا مولوداً من روحه في بيت لحم، وهو الطريق والحق والحياة. وهذا «الكلمة» هو الوسيط الوحيد بين الله والناس، لأنه كاملٌ بلا خطأ فلا يحتاج إلى شفيع، وهو الذي وفى ديون الخطاة وناب عنهم.

1 - سمو كهنوت المسيح: «أقسم الرب ولن يندم: أنت كاهنٌ إلى الأبد على رُتبة ملكي صادق» (آية 4). تظهر مكانة المسيح الكهنوتية السامية من أنها أُعلنت بقسَمٍ إلهي. لقد أعلن الله مُلك المسيح بكلمة منه تحمل سلطانه «قال الرب لربي»، ولكنه أعلن كهنوت المسيح بقَسمٍ منه «أقسم الرب ولن يندم»، «فإن الناس يُقسِمون بالأعظم، ونهاية كل مشاجرة عندهم، لأجل التثبيت، هي القَسَم. فلذلك إذْ

أراد الله أن يُظهِر.. عدم تغيُّر قضائه توسَّط بقسَمٍ» (عب 6: 16، 17). ويقارن الوحيُ بين كهنوت سبط لاوي وكهنوت المسيح بقوله: «لأن أولئك (هارون ونسله) بدون قسمٍ قد صاروا كهنة، أما هذا (الرب المسيح) فبقَسمٍ من القائل له: أقسم الرب ولن يندم: أنت كاهنٌ إلى الأبد، على رُتبة ملكي صادق» (عب 7: 21، 22).

وكانت هناك رُتبتان كهنوتيتان، رتبة هارون وهي الكهنوت فقط، ورتبة ملكي صادق وهي الكهنوت والمُلك. وفي هذا المزمور يعلن الوحي مكانة المسيح الكهنوتية السامية من أن كهنوته على رتبة كهنوت ملكي صادق، وليس على رُتبة كهنوت هارون. ونجد أخبار ملكي صادق في التكوين 14: 18–20، وهو ملكٌ يحمل اسماً ساميّاً معناه «ملك البر»، وكان ملكاً على «شاليم»، أي أورشليم، ومعناها «مدينة السلام» كما كان كاهناً لله العلي، وقدَّم لخليل الله إبراهيم طعاماً من خبز وخمر، وباركه، فقدَّم له إبراهيم العشور تأييداً له. وبهذا يكون ملكي صادق أعظم من إبراهيم، لأنه بارك إبراهيم. ولم يكن ملكي صادق من العبرانيين، ولكنه كان محافظاً على شريعة الله القديمة بينما كان يسكن وسط الوثنيين، ولذلك كان سابقاً لإبراهيم، وسابقاً للكهنة الذين جاءوا بعده. ويرمز ملكي صادق للمسيح، فكلاهما كان كاهناً وملكاً معاً، وكلاهما ليسا من سبط لاوي حفيد إبراهيم الخليل، وليس لكهنوتهما بداية ولا نهاية معروفة، فالمسيح لا «بداية أيامٍ له ولا نهاية حياة إلى الأبد» (عب 7: 3).. وكلاهما يملك بالبر والسلام. فالمسيح هو البار في ذاته، والذي يبرِّر كل من يؤمنون به، فيقولون: «إذ قد تبرَّرنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح» (رو 5: 1). والمسيح هو ملك السلام الذي قال: «سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا.. وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع» (يو 14: 27 وفي 4: 7). هو الملك المُسالم الذي لا يحارب بل يصنع خيراً فعندما تشاور الفريسيون عليه ليقتلوه «علم يسوع وانصرف من هناك. وتبعته جموعٌ كثيرة فشفاهم جميعاً، وأوصاهم أن لا يُظهِروه، لكي يتم ما قيل بإشعياء النبي القائل: هوذا فتاي الذي اخترتُه، حبيبي الذي سُرَّت به نفسي. أضع روحي عليه فيخبر الأمم بالحق. لا يخاصم ولا يصيح ولا يَسمع أحد في الشوارع صوته. قصبةً مرضوضة لا يقصف، وفتيلةً مدخِّنة لا يطفئ، حتى يُخرِج الحق إلى النصرة، وعلى اسمه يكون رجاء الأمم» (مت 12: 14–21).

وقد سما كهنوت المسيح على كهنوت هارون بدوامه، فكهنوته إلى الأبد، على رتبة ملكي صادق «إذ هو حيٌّ في كل حين» (عب 7: 25). وهذا بالمفارقة مع كهنوت هارون الذي منعه الموت من البقاء، فكان بنو إسرائيل يعيِّنون رئيس كهنة جديد عندما يموت الكاهن الأول. ولما كان هارون ونسله بحكم طبيعتهم خطائين، فقد كان رئيس الكهنة على نظام هارون يدخل إلى الأقداس بدمٍ عن نفسه أولاً. فإذا رضي الرب عنه يعود فيدخل بدمٍ عن خطايا الشعب. أما المسيح فقد دخل إلى الأقداس لا بدمٍ عن نفسه، لأنه لم يكن محتاجاً أن يقدم ذبيحةً عن نفسه، لكنه دخل بدم نفسه. وكان رئيس الكهنة على رُتبة هارون يقدِّم الذبيحة إلى قدس الأقداس مرة كل سنة، أما المسيح فقد قدَّم ذبيحةً واحدة ، فوجد فداءً أبدياً. وعلى أساس هذا الفداء هو ضامنٌ لعهدٍ أفضل.

2 - نصرة كهنوت المسيح: «الرب عن يمينك يحطم في يوم رجزه ملوكاً. يدين بين الأمم. ملأ جثثاً أرضاً واسعة. سحق رؤوسها» (آيتا 5، 6). ماذا يفعل الرب لمن يرفض ملكوت المسيح وكهنوته؟ وما هي نتيجة قساوة القلب الذي يرفض خلاص الله؟ إنها الدينونة المخيفة في اليوم الأخير. «هكذا أحبَّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلُص به العالم. الذي يؤمن به لا يُدان، والذي لا يؤمن قد دين، لأنه لم يؤمن باسم الله الوحيد. وهذه هي الدينونة: إن النور قد جاء إلى العالم، وأحبَّ الناسُ الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة» (يو 3: 16–19). وقد يبدو الكلام عن الدينونة خشناً وقاسياً، لكننا يجب أن ننتبه لجدِّيَّة القوانين السماوية «فإن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً» (غل 6: 7). لقد زرع هؤلاء الأشرار ظلمةً، والآن يحصدون هلاكاً وموتاً أبدياً. صحيحٌ أن الله هو الإله المحب، ولكنه في الوقت نفسه الإله العادل.

3 - رفعة كهنوت المسيح: «من النهر يشرب في الطريق، لذلك يرفع الرأس» (آية 7). ربما كان المسيح هو المقصود بالذي يشرب ويرفع رأسه منتصراً، أو ربما كان المقصود هو جيش المسيح، عِلماً بأن نصرة المسيح هي نصرةٌ لجيشه، فإن أمطار البركات الإلهية تغمر أرضنا، فتمتلئ الأنهار بالمياه لتروي شعب الله وتنعشه.. ولعل المرنم عاد بذاكرته إلى القاضي جدعون وجيشه الغالب، فقد اجتمع حوله جيشٌ من اثنين وثلاثين ألف جندي ليحاربوا غُزاتهم الميديانيين، فقال الله لجدعون: «الشعب الذي معك كثير عليَّ.. لئلا يفتخر عليَّ إسرائيل قائلاً: يدي خلَّصتني. والآن ناد:.. مَن كان خائفاً ومرتعداً فليرجع وينصرف». فرجع اثنان وعشرون ألفاً وبقي عشرة آلاف، فقال الرب لجدعون: «لم يزل الشعب كثيراً. انزِل بهم إلى الماء.. كل من يَلَغُ بلسانه من الماء فأوقِفه وحده، وكذا كلُّ من جثا على ركبتيه للشُّرب». وكان عدد الذين ولغوا بيدهم ثلاث مئة رجل. فقال الرب لجدعون: «بالثلاث مئة رجل الذين ولغوا أخلِّصكم

وأدفع المديانيين ليدك» (قض 7: 2–7). وقد كان، فانتصر الذين شربوا من النهر في الطريق، ورفعوا رؤوسهم بالنصر. لم يعطلهم النهر عن السير، بل ساعدهم عليه.

ولعل المرنم يقصد أن جيش المسيح الغالب، يستريحون ليشربوا ويأخذوا قوة، ثم يتابعون مسيرة حربهم الروحية ضد قُوى الشر، فالرب يناديهم: «أيها العطاش جميعاً هلموا إلى المياه» (إش 55: 1). وقال المسيح: «إن عطش أحدٌ فليُقبِل إليَّ ويشرب. مَن آمن بي، كما قال الكتاب، تجري مِن بطنه أنهار ماء حي. قال هذا عن الروح القدس الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه» (يو 7: 37–39). وقد حلَّ الروح القدس على أتباع المسيح يوم الخمسين، فأعطاهم القوة لينتصروا على مخاوفهم وضعفاتهم، وصاروا للمسيح شهوداً في عاصمتهم، وفي اليهودية، والسامرة، ثم إلى أقصى الأرض (أع 1: 8).

ولا زال شعب المسيح يرتوون من روحه القدوس عندما يملأهم، فيرتوون بعدالة قضيتهم، ويرتوون برضا الله عليهم، ويرتوون بإنعامات الله وأمانته، ويرتوون بانتصارهم، فيقولون: «ما أكرم رحمتك يا الله، فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون. يَروَون من دسم بيتك، ومن نهر نِعمك تسقيهم» (مز 36: 7، 8). فدعونا نشرب من نهر نعيم الله، وندعو آخرين ليرتووا معنا فنرفع رؤوسنا المنتصرة بخلاص الرب، حتى يتحقَّق لنا النصر النهائي الذي يصفه الرائي بالقول: «وأراني نهراً صافياً من ماء حياة، لامعاً كبلور خارجاً من عرش الله والحمل.. وعرش الله والحمل يكون فيها، وعبيده يخدمونه، وهم سينظرون وجهه، واسمه على جباههم، ولا يكون ليل هناك، ولا يحتاجون إلى سراجٍ أو نور شمسٍ، لأن الرب الإله ينير عليهم، وهم سيملكون إلى أبد الآبدين» (رؤ 22: 1–5).